المعاونية الثقافية

وحدة الدراسات والمتون الثقافية

الرصد الثقافي

العدد [12] - نيسان 2021

ورد في التقرير

- مشروع أبراهام "الدبلوماسية الروحية".. بوابة "تصفية" الصراع مع إسرائيل
- البابا فرنسيس في أور السومرية: حديث الدين والتاريخ والسياسة
  أكذوبة العقل الخرافي! أثار أور السومرية والمسألة الإبراهيمية
- التوراة تدحض خرافة "من النيل إلى الفرات"
- "الإبراهيمية الجديدة" وخدعة التسامح

دار المعارف الإسلامية الثقافية

الـــكـــتـــاب: **الرصد الثقافيّ العدد** (12) نيسان – 2021

إعـــــــــداد: **مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة**

almaaref.center. cs@gmail.com
00961 01 467 547
00961 76 960 347

لا يتبنّى المركز الآراء الواردة في المقالات
والأبحاث والكتب والأخبار المنشورة في هذا التقرير

المعاونيّة الثقافيّة
وحدة الدراسات والمتون الثقافيّة

الرصد الثقافيّ

العدد (12) نيسان 2021
نشرة داخليّة دورية تعنى برصد القضايا والأخبار الثقافيّة

الفهرس

مُقدّمة 7

1. «النبض» تطلق باكورة أعمالها: أول دراسة تفصيلية بالأرقام عن منظمات المجتمع المدني. 9
2. مشروع أبراهام «الدبلوماسيّة الروحيّة».. بوابة «تصفية» الصراع مع إسرائيل..... 14
3. البابا فرنسيس في أور السومرية: حديث الدين والتاريخ والسياسة أكذوبة العقل الخرافي! آثار أور السومرية والمسألة الإبراهيميَّة 23
4. التوراة تدحض خرافة «من النيل إلى الفرات»..... 31
5. «الإبراهيميَّة الجديدة» وخدعة التسامح..... 35
6. الدبلوماسيّة الدينية والمشترك الإبراهيمي 38
7. الأديان التوحيدية والسياسة عند مارسيل غوشيه..... 43
8. مارسيل غوشيه.. وأطروحة انسحاب الدين من العالم المعاصر 48
9. هل ثمة هوية «مشرقية»؟..... 54
10. قراءة الفلسفة في زمن «تويتر» حضور غير مسبوق لنصوص كلاسيكية في الفضاء العام..... 61
11. الفيلسوف ورجل الدين لريجيس دوبريه 66
12. الاستثمار في بيتكوين ... حلال أم حرام؟..... 72
13. وداعًا للنيوليبرالية 78

أخبار وإصدارات 82

1. **كتاب اسرائيلي في الأسواق اللبنانية؟ 82**
2. **كتاب «موت الغرب» لباتريك بوكانن الموت الذي يلوح في أفق الغرب هو في الواقع موتان.....84**

مُقدّمة

يتضمّن التقرير مجموعة من المقالات التي ركّز بعضُها على ما باتَ يُعرَف بـ «الديانة الإبراهيميَّة الجديدة» أو «الدين العالميّ الجديد» وفنّدَ منطلقاتها وأهدافها. باحثون خلصوا إلى أنّ المشروع الجديد، الذي تقف وراءه حكومات ومنظّمات دوليَّة سياسيَّة وماليَّة كبرى، يهدف إلى نزعِ قدسيّة الكتب السماويّة، وحرمة دور العبادة لصالح بيوت الديانة الإبراهيميَّة الجديدة، على شاكلة بيت إبراهيم الذي تزمع الإمارات بناءه على أراضيها خلال السنوات القادمة.

كما يرى هؤلاء أنّ من أهمِّ أهدافِ القائمين على مشروع «الديانة الإبراهيميَّة» فتح باب التأويل المستمر للنصوص الدّينية خدمةً للأغراض السياسيَّة، وإضاعة الحقوق وتزييف التاريخ وتغيير الواقع، بغرض تحقيق المصالح الغربيّة والصهيونيّة وتدمير الأديان السماويّة، بخاصّة الإسلام والمسيحيَّة.

بينما نبَّه باحثون آخرون إلى حقيقة أنّ التوراة نفسها تدحض خرافة «من النيل إلى الفرات»، ورأى آخرون، ربطًا بزيارة البابا إلى العراق، أنّ مقولة أو «خرافة» «بيت النبي إبراهيم في أور» هي واحدة من أخطاء وتلفيقات الآثاريَّين البريطانيّين في عشرينات القرن الماضي.

يتضمّن التقرير أيضًا مجموعة من المقالات المختارة التي تناولت الاستشراق، السؤال عن ماهيّة الهويَّة المشرقيَّة، الأديان التوحيديَّة والسياسة، إضافةً إلى موضوعات فكريَّة أخرى، تعبّر عن آراء كاتبيها، لا عن آراء المركز.

مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة

1. النهار[1]

«النبض» تطلق باكورة أعمالها: أول دراسة تفصيلية بالأرقام عن منظمات المجتمع المدني.

أجرت مؤسّسة «النبض» دراسة تناولت 62 منظّمة من منظّمات المجتمع المدنيّ العاملة في لبنان التي بلغَ تَعدَادها 420 منظّمة وجمعيّة ناشطة فوق الأراضي اللبنانيَّة، وقد جرى عرض نتائج الدراسة في «ملتقى عمل النمل» Antwork Hub في سبيرز-الحمرا.

تناولت الدراسة خمسة مواضيع هي:

1. شكل النظام في لبنان.
2. السلاح خارج إطار الدولة.
3. الحياد.
4. ترسيم الحدود.
5. المشروع الاقتصادي.

وتمّ توزيع الجمعيَّات والمنظّمات وفق نمط اهتماماتها، على الشكل الآتي:

- جمعيّات لا تبغي الربح.
- أحزاب سياسيَّة جديدة وقديمة.

(1) جريدة النهار، «النبض» تطلق باكورة أعمالها: أول دراسة تفصيلية بالأرقام عن منظمات المجتمع المدني.

- مجموعات مهنيَّة ونقابيَّة وعماليَّة.
- فنانون وجامعيون وتلامذة وأساتذة وقادة رأي وباحثون وعسكريون ومودعون ومغتربون ومجموعات نسويّة ودعاة مساواة اجتماعية.

كما خلصت الدراسة إلى أنّ ثمّة قضايا وأهداف تجتمع حولها الجمعيّات، هي: استقالة الحكومة، تشكيل حكومة إنقاذ، قانون انتخاب جديد، انتخابات مبكّرة، حوكمة القطاع العام، قضاء مستقل، خطّة إنقاذ اقتصادي، إعادة هيكلة الدين العام.

أمّا أهداف هذه الجمعيّات فكانت:

- الدولة المدنية.
- حكم القانون
- اقتصاد منتج ومستدام.
- إدارة شفّافة للقطاع المصرفيّ.

نصّ المقال:

أطلَقَتْ «النبض – The Pulse» باكورة أعمالها «The State of Civil Society in Lebanon» وهي دراسة عن خارطة (Mapping Study) منظّمات المجتمع المدنيّ في لبنان، بالتعاون مع مؤسّسة «كونراد أديناور» الألمانيّةKonrad-Adenaeur-Stiftung (KAS). أجريت الدراسة على 62 منظّمة من المجتمع المدنيّ من أصل مسح أولي لـ 420 منظّمة من مختلف المناطق اللبنانيّة. وقد طرح هذا المسح خمسة أسئلة عن: شكل النظام في لبنان، السلاح خارج إطار الدولة، الحياد وترسيم الحدود، المشروع الاقتصادي. وتبيّنَ أنّ هناك أمور كثيرة تتوافق عليها هذه الهيئات، بحسب مجموعة «النبض».

وتمّ توزيع المجموعات والمنظّمات بحسب اهتماماتها وعملها على الأرض والهدف من عملها، فكانت على الشكل الآتي: جمعيّات لا تبغي الربح، أحزاب سياسيّة جديدة

وقديمة، مجموعات مهنيّة ونقابيّة وعمّاليّة، فنانون، جامعيّون، تلامذة وأساتذة قادة رأي، باحثون، عسكريون، مودعون، مغتربون، مجموعات نسوية ودعاة مساواة اجتماعية. كما تم عرض طبيعة وهويّة هذه الجمعيّات بحسب تمويلها وتوزيعها الجغرافيّ، الهيكليّة التنظيميّة، الأدوات التمكينيّة، نقاط القوّة والضعف، إضافة إلى الفرص والتحدّيات.

وكشفت الدراسة التشاركيّة عن توزّع المجموعات الثوريّة وتحالفاتها، وعن القضايا والمطالب التي تجتمع حولها وهي اثنتا عشرة قضيّة، أبرزها: استقالة الحكومة، تشكيل حكومة انقاذ، قانون انتخاب جديد، انتخابات مبكرة، حوكمة القطاع العام، قضاء مستقل، خطة إنقاذ اقتصادي، إعادة هيكلة الدين العام.

أمّا الأهداف التي تجمع هذه الجمعيّات، بحسب الدراسة التي أعدّتها "The Pulse"، فهي عشرة أهداف، أبرزها: الدولة المدنيّة، حكم القانون، اقتصاد منتج ومستدام، إدارة شفّافة للقطاع المصرفيّ. ولعل أبرز النتائج التي أظهرتها الدراسة، بحسب تعبير صحيفة النهار، هي موقف المجموعات من السلاح خارج إطار الدولة، حيث اعتبرت 92٪ من هذه المجموعات أن السلاح يجب أن يكون بيد الدولة، ولكن مع اختلاف آليّة تطبيق هذا الأمر، وبيّنت دراسة «النبّض» أنّ 30٪ من هذه الجمعيّات ترى أنّ أيّ سلاح خارج إطار الدولة هو سلاح غير شرعي وحتّى «إرهابي»، وطالبت بتطبيق القرار 1559، ولم يكن لديها مانع من تدخل دوليّ للتخلّص من هذا السلاح.

في المقابل رأت نسبة 42٪ من هذه الجمعيّات أنّ موضوع السلاح هو موضوع داخلي يتم معالجته بناءً على إقرار وتنفيذ استراتيجيّة دفاعيَّة تجد حلًّا لجميع الأطراف المعنيّة. كما رأى 20% أنَّ «المقاومة» حقّ مشروع ولا يوجد خيار آخر إلّا بحمل السلاح، ولكن آن الأوان في ظلّ الظروف الإقليميَّة والأوضاع الصعبة أن يتم تطبيق استراتيجيّة دفاعيّة يتمّ الاتفاق عليها. ورأت نسبة8% من هذه الجمعيّات أن هذا الموضوع يحمل بُعدًا إقليميًّا وأنّ ما قامت به «المقاومة» يجعلها مسؤولة عن تقرير مصيرها. وعن الحياد

وترسيم الحدود، أظهرت الدراسة أنّ 73% يؤيّدون الحياد على اعتبار أنّ لبنان بحجمه وإمكانيّاته المتواضعة ومشاكله الداخليّة لا يحتمل أي تدخل في الشؤون الخارجيّة، كما أنّ ترسيم الحدود يساهم في تحديد دور لبنان أوّلًا وتحديد موارده النفطيّة وغيرها بشكل أساسي، فيما رأى 27% من المستطلعين أنّ الحيادَ قرار بيد الدولة وحدها، لأنّه متعلق باعتبارات إقليميّة ودوليّة.

عُقدت ندوة حواريّة أدارها الإعلاميّ فادي شهوان وشارك فيها كل من المؤسِّسة والمديرة التنفيذيّة لـ «The Pulse» «هدى الأسطه قصقص» والصحافي الاقتصاديّ الألمانيّ «توماس شيلين». تحدّثت قصقص عن المشروع مؤكّدةً أنّ "The Pulse" حرصت على أن تكون على مسافة واحدة من الجميع، وأنهت عملها بتوصيات ستكون بمتناول الرأي العام وكل المعنيّين بالتغيير في لبنان.

وتابعت: «نجتمع اليوم لإطلاق The Pulse ليس كفكرة فقط، إنّما من خلال دراسة تفصيلية تواكب الوضع العام في لبنان وتفاصيل الدراسة تعكس طريقة جديدة في التعاطي مع الوضع العام، وهي دراسة علميّة مستندة على أرقام وبيانات، هدفها أن تقدّم مساحة لكل شخص يريد أن يعرف أكثر، أن يصوّب أفكاره، أن يحدّد خياراته، أن يعرف القواسم المشتركة التي تجمعه مع شريكه في الوطن، وكلّ ذلك من أجل النهوض بلبنان".

بدوره، رأى مدير مكتب مؤسّسة كونراد أديناور في لبنان «مالتي غاييز» في كلمته أنّ هذا التقرير سيشكل حجر الزاوية للمشاركة الشاملة في إصلاح النظام السياسي في لبنان، مؤكّدًا أنّ «مؤسّسة كونراد أديناور» ملتزمة «بمبادئ الحريّة والعدالة والتضامن التي هي الأسس الأساسيّة لعملنا، ومن هنا كان من المهم بالنسبة لنا أن يكون لدينا فهم واضح لهذه المجتمعات المدنيّة الناشئة، وأن يكون لدينا فهم جيّد للطريقة التي تعمل بها والتعرف على منظورهم للوضع اللبنانيّ الحالي ممّا دفعنا للمشاركة ودعم هذا

المشروع"، ودائمًا الكلام من وجهة نظر غايير.

يُذكر أن الحفل حضره دبلوماسيون، ممثّلون عن مؤسّسات دوليّة NGO مختلفة، رئيس مكتب مؤسّسة كونراد اديناور في لبنان د. مالتي غايير، الرئيس المقبل للمؤسّسة مايكل بوير، أعضاء مؤسّسة The Pulse، ممثلين عن مجموعات ثوريّة وقادة رأي وناشطين في المجتمع المدني، إضافة إلى مدير المشاريع في مؤسّسة كونراد اديناور حمد إلياس.

2. البديل العراقي[1]

مشروع أبراهام
«الدبلوماسيّة الروحيّة».. بوابة «تصفية» الصراع مع إسرائيل

أعدّتْ الباحثة المصريَّة الدكتورة هبة جمال الدين[2]، دراسةً تكشف ما وصفته بـ «مخطط غربيّ خطير لتغيير شكل المنطقة، وتصفية الصراع العربيّ الإسرائيليّ من جذوره». المخطّط، بحسب الدراسة، بهدوء مع بداية الألفيّة الحاليّة، ورفع شعارات برّاقة لا تثيرُ الشكوك، إذ تركز على جهود ومحاولات من جانب منظّمات دوليّة ومدنيّة على مكافحة الفقر وتحقيق التنمية فى المناطق التى تمزّقها الصراعات، ومنها الصّراع العربيّ الإسرائيليّ. ولتحقيق هذا الهدف التنمويّ لا بدّ، وفقًا لأصحاب المخطّط، من علاج الصراعات من جذورها، باستخدام الدين، كونه عنصرًا لتحقيق المحبة والسّلام وليس سببًا للعنف، وبما أنّ الفهم القائمَ لنصوص الأديان السماويّة، التي يطلقون عليها اسم «الأديان الإبراهيميَّة الثلاثة»، الإسلام والمسيحيَّة واليهوديَّة، لدى أتباعها، هو أحد أسباب المشكلة وليس الحل، فيجب الاستعانة برجال دين من الأديان الثلاثة لدعوة خطيرة تنادي بـ «دين واحد عام» يُطلقون عليه اسم «الدين الإبراهيمي»، وذلك «الدين الجديد» المزعوم ليس إلّا مجموعة من القيم الأخلاقيّة المشتركة، مثل المحبة

(1) **موقع البديل العراقيّ**، مشروع أبراهام/ «الدبلوماسية الروحية».. بوابة «تصفية» الصراع مع إسرائيل، سيد جبيل، آذار 2021.

(2) مُدرّسةُ النظم السياسيّة بمعهد التخطيط القومي وعضو المجلس المصرىّ للشؤون الخارجيّة.

والتسامح والبر وإتقان العمل، بين الأديان السماويّة، وقد يضاف إليها مستقبلًا أديان أخرى مثل البوذيّة.

كيف تتمُّ الدعوةُ للدين الجديد المزعوم؟ وما هي الوسائل والأدوات ومصادر التمويل؟ كل هذه الأسئلة تجيب عنها الدراسة التي تعرض هذه المقالة ملخّصها في السّطور التالية، والتي تؤكّد الباحثة، جمال الدين، أنّها دراسة علميّة مستقلّة لا علاقة لها، بحكم موضوعها، بمعهد التخطيط أو المجلس المصريّ الذين تنتمي إليهما.

ترى جمال الدين أنّ جهود رجالِ الدين، أو «القادة الروحيّين»، لا تقتصر على وضع مبادئ «الديانة الإبراهيميَّة الجديدة، بل تمتدّ إلى العملِ على الأرض في أماكن الصراعات، فهم يتعاونون مع بعضهم أولًا لنشر الدين الجديد بشكل عمليّ، من خلال تقديم خدمات مباشرة للأهالي المتضرّرين فى أماكن النزاع، وهم أيضًا منشغلون فيما بينهم بمفاوضات هدفها تصفية هذه النزاعات بـ «إعطاء الحق لأصحابه الأصليّين» في أيّ نزاعٍ قائم على الدين، ويشاركهم فى هذه المفاوضات ساسة ودبلوماسيّون من دول معنيّة بالصراع محل التفاوض ومستفيدة من حل الصراع وفقًا لتوجّهاتهم ومصالحهم، ودورهم ترجمة ما يتوصّل إليه رجال الدين من حقائق على الخرائط السياسيّة، ويُطلق على هذا النوع من المفاوضات غير الرسميّة «الدبلوماسيّة الروحيّة».

جهود رجالِ الدين، أو «القادة الروحيّين»، لا تقتصر على وضع مبادئ «الديانة الإبراهيميَّة الجديدة، بل تمتدّ إلى العملِ على الأرض فى أماكن الصراعات، فهم يتعاونون مع بعضهم أولًا لنشر الدين الجديد بشكل عمليّ، من خلال تقديم خدمات مباشرة للأهالي المتضرّرين فى أماكن النزاع، وهم أيضًا منشغلون فيما بينهم بمفاوضات هدفها تصفية هذه النزعات بـ «إعطاء الحق لأصحابه الأصليّين» في أيّ نزاعٍ قائم على الدين

أما من هم أصحاب هذا الحق الأصليّ في الصراع العربى الإسرائيليّ، فليسوا، كما توصّلت

الباحثة، إلّا اليهود، إذ تسعى جهود مراكز بحثيّة مختلفة، معنيّة بـ«الدبلوماسيّة الروحيّة» وممولّة من الغرب، لتزييف التاريخ فى المقررات الدراسية وغيرها لخدمة الادعاءات الإسرائيلية، وتؤدى هذه الجهود مجتمعة لاستيلاء إسرائيل على القدس كاملة وتسطو على المقدسات المسيحية والإسلامية هناك.

أصحاب هذا الحق الأصليّ فى الصراع العربى الإسرائيليّ، فليسوا، كما توصّلت الباحثة، إلّا اليهود

تقول جمال الدين إن عمر مخطط إقامة «الديانة الإبراهيميَّة» هو 18 عامًا، وأبرز محطاته تأسيس قسم خاص في وزارة الخارجيّة الأمريكية لمتابعته، وقد لجأ «الديمقراطيون» إلى هذه الخطة الجديدة بعد ثورة «30 يونيو» فى مصر وفشل مساعي الأميركيين لتمكين «الإسلاميين» من الحكم.

الدول التي تدعم هذا الفكر، بحسب الدراسة، هى إسرائيل ودول غربيّة على رأسها الولايات المتحدة، ويأخذ الدعم 3 مستويات: المنظَّمات الدولية والحكومات ومؤسسات المجتمع المدني، ومراكز الدبلوماسيّة الروحيّة، وكذلك الجامعات.

أوَّلًا: على المستوى الدولي:

تقول جمال الدين إنّ أنصار الدبلوماسيّة الروحيّة نجحوا منذ مطلع الألفية في خلق اهتمام دولي من جانب المؤسسات التمويلية بقضية السلام الدينى العالمي، عبر التقارب بين ما يسمى بالأديان الإبراهيميَّة الثلاثة ووضعها على أجندتهم التمويلية، لأن هذا السلام سيحقق التنمية ويحارب الفقر. ويمثل هذا المستوى من الاهتمام على الساحة الدولية حلًا لمشكلة مؤسسات الدبلوماسيّة الروحيّة أو الدينية فى التمويل، فربطها بقضية مكافحة الفقر العالمي وتحقيق أهداف التنمية المستدامة التى أرستها الأمم المتحدة، حفّز كلًّا من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي لتبنّي الفكرة وتنبيه عدد من المؤسسات التمويلية العالمية بوضع قضية تحقيق السلام الديني العالمي على أجندتهم التمويلية.

ثانيًا: على مستوى الحكومات:

أسّست الولايات المتحدة، على سبيل المثال، إدارة متخصّصة بالدبلوماسيّة الروحيّة داخل وزارة الخارجيّة الأمريكية منذ عام 2013، ففي عهد هيلاري كلينتون، وزيرة الخارجيّة الأمريكية الأسبق، تم تكوين فريق عمل حول الدين والسياسة الخارجيّة، فريق العمل مكون من ستة فرق أنشأتها وزيرة الخارجيّة «كلينتون» تحت عنوان «الحوار الاستراتيجي مع المجتمع المدني»، من أجل «ضمان فرصة التشاور والتعاون المتبادلين»، وتضم الإدارة نحو مائة فرد من القادة الروحيّين، ومسؤولين في وزارة الخارجيّة دورهم تقديم المشورة لوزير الخارجيّة، وعلى الرغم من تغيّر الإدارة من الديمقراطيين للمحافظين، فإن هذه الإدارة ما زالت قائمة وتمارس عملها فى ظل إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، وفي عهد وزير الخارجيّة جون كيري، تم تعيين شون كيسي، أستاذ الحلقات الدراسية اللاهوتية فى جامعة ويسلي بواشنطن، ليدير مكتب وزارة الخارجيّة الأول للمبادرات الدينية، وهدف هذا المكتب تكريس الشراكة مع المجتمعات الدينية العالمية والقادة الروحيّين بشأن قضايا أساسية، منها: «التحولات العربيّة - السلام فى الشرق الأوسط - التغيرات المناخية - حقوق الأشخاص ذوى الاحتياجات الخاصة»، وفى أغسطس 2013 تحدث «كيرى» عن «الأرض المشتركة للديانات الإبراهيميَّة» وأقر بأهمية «الدين العالمي» فى مواجهة الخطر المحدق بالولايات المتحدة، وأوعز للدبلوماسيّين بإشراك القادة الروحيّين والمنظَّمات الدينية فى عملهم.

ثالثًا: مراكز أو مؤسسات أو برامج الدبلوماسيّة الروحيّة: الانتشار القاعدي

مثّل مطلع الألفية التوجه لتأسيس فكرة «الدين العالمي» في شكل مؤسسات عاملة على الأرض، ويمكن تسمية هذه المنظَّمات القائمة على الإيمان، «faith based organizations»، وهي مؤسسات دينية بارعة فى حل المشكلات التي لا

يمكن للدبلوماسيّة العلمانية فهمها، ومثال ذلك المصالحة التي تتم بواسطة «معهد المصالحة بكشمير»، وهناك عدد من القواسم المشتركة بين هذه المؤسسات فهي جميعًا:

مثّل مطلع الألفية التوجه لتأسيس فكرة «الدين العالمي» فى شكل مؤسسات عاملة على الأرض، ويمكن تسمية هذه المنظّمات القائمة على الإيمان، «faith based organizations» وهى مؤسسات دينية بارعة فى حل المشكلات التى لا يمكن للدبلوماسيّة العلمانية فهمها

تخطط لنزع قدسية الكتب السماويّة ليكون الدين الجديد هو محل القدسية، ونزع حرمة دور العبادة لتصبح مراكز الفكر الإبراهيمي هي التي لها الحرمة، وفتح باب التأويل المستمر للنصوص وفقًا للأغراض السياسية ومواجهة أي عقبات سياسية قد تقف أمامها، ويتم تمويل أنشطتها من خلال التمويل الحكومي والتبرعات الخاصة والمنح وتمويل الجامعات.

وتسعى هذه المراكز للانتشار عالميًا عن طريق:

- إقامة أفرع لهذه المؤسسات عالميًا بالدول والأقاليم المختلفة، «**مراكز إقليمية للرابطة الإبراهيميَّة**».
- إنشاء جامعات أو تدريس هذا الفكر فى جامعات عالمية كجامعات فيرجينيا وبنسلفانيا، أو التنسيق مع الأكاديميين والطلبة وفتح جلسات دراسية وحوارية مستمرة والبدء باختيارات نصية صغيرة لمناقشتها وتفنيدها، والتمييز بين القراءة التقليدية والمعاصرة للنص الديني وربطه سياسيًا، وإقامة حلقات ومقررات وتدريبات تناقش قضية «**كيفية تدريس أديان العالم للسلام والحرب في مختلف دول العالم**»، والهدف المعلن تحقيق التنمية بالقضاء على جذور الصراعات الدينية.. والخفي استيلاء اليهود على القدس بدعم مؤسسات دولية مثل صندوق النقد.

- بناء كـوادر بمختلف دول العالم يتم تدريبهم على برنامج يسمى بدورات الممارسين الإبراهيميين وتوليد ما يسمى بـ«**أسر ممارسات السلام**».

تحقيق السلام من خلال ما يقوم به زعماء دينيون للبحث عن القيم المشتركة الإيجابية فى الأديان الثلاثة، من خلال الاجتهاد وتأويل النصوص بشكل إيجابي، أي استبعاد أهم مفاهيم من شأنها التسبب فى العنف، وخلاصة ما يتوصلون إليه يطلق عليه «الدين الإبراهيمي»، ووسيلة تحقيق هذا الهدف هى ما يعرف بـ«دبلوماسيّة المسار الثاني»، التى تعني الجمع بين القيادات الروحيّة والسياسية

وتوضح الدكتورة «جمال الدين» فى بداية بحثها، الذى حمل عنوان «الدبلوماسيّة الروحيّة.. إشكاليات وسياسات مقترحة لصانع القرار».. أن الدبلوماسيّة الروحيّة هدفها المعلن هو تحقيق السلام العالمي وحلّ النزاعات وتحقيق التنمية المستدامة عبر مكافحة الفقر ومسبباته والاضطلاع بخدمات ومشروعات تنموية تكرس الولاء للفكر الجديد، لكن غرضها الحقيقي تحقيق المصالح الغربيّة الصهيونيّة وتدمير الأديان السماويّة، بخاصَّة الإسلام والمسيحية، وإضاعة الحقوق وتزييف التاريخ وتغيير الواقع لصالح المخططات الصهيونيّة.

تتناول الباحثة الدبلوماسيّة الروحيّة من كل جوانبها، فالغاية، نظريًا، تحقيق السلام من خلال ما يقوم به زعماء دينيون للبحث عن القيم المشتركة الإيجابية فى الأديان الثلاثة، من خلال الاجتهاد وتأويل النصوص بشكل إيجابي، أي استبعاد أهم مفاهيم من شأنها التسبب فى العنف، وخلاصة ما يتوصلون إليه يطلق عليه «الدين الإبراهيمي»، ووسيلة تحقيق هذا الهدف هي ما يعرف بـ«دبلوماسيّة المسار الثاني»، التي تعني الجمع بين القيادات الروحيّة والسياسية في لقاءات غير رسمية، مع الاعتماد على المنهج الخدمي التنموي، أي تقديم خدمات مباشرة للمواطنين فى مناطق الصراع، وتقديم مشروعات بحثية وأكاديمية مساندة، بالإضافة إلى تأسيس ما يعرف بـ«أسر

ممارسات السلام»، للترويج للفكرة بشكل غير مباشر، أما منهج الحل السياسي الذي يحكم هذه المفاوضات، فهو إعادة الحقوق، لما يسمونه بـ«الشعوب الأصلية» على الخريطة، لكن دون تحديد من هي الشعوب الأصلية، حيث سيتم الاتفاق عليها خلال جلسات الحوار.

وترى الباحثة أن الحديث عن أن القواسم المشتركة بين الأديان هو ما سيمهد الطريق لقبول أفكار مشتركة فى ظل القيم السماويّة العليا التي يقبلها الجميع، التي لا تشكل مشكلة لدى أنصار وأتباع الديانات لتكون مدخلًا لحل الصراع العربي الإسرائيلي، وتحذر من خطورة الحديث عن «إعطاء الحق للشعوب الأصلية» لأنها تعني عمليًا استيلاء إسرائيل على القدس كاملة، موضحة أنّ المفاوض الإسرائيلي والغربيّ يروجان بوسائل مختلفة لحقوق اليهود التاريخية فى القدس، بالحديث الزائف عن «مملكة داوود» ككيان سياسي وأن اليهود هم أهل كنعان، وأن اليهودية سبقت المسيحية والإسلام، وتمهد هذه المفاهيم التي يجري الترويج لها لتنفيذ ما يسمى بـ«الدولة الإبراهيميَّة» التي ترتكز على إعطاء الحق لأصحابه الأوائل، «اليهود»، حسب زعمهم.

مع مطلع 2017 بعد انتخاب الرئيس الأمريكى دونالد ترامب، جاءت محاولات من منظمة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين، «الأونروا»، لتغيير المناهج ومحو كلمة القدس كعاصمة للدولة الفلسطينية، والإشارة إلى أن القدس هى المدينة الإبراهيميَّة، تمهيدًا لخلق واقع جديد وبناء جيل جديد مؤمن بهذا الطرح، بخاصّة أنه موجه للأطفال من الصف الأول إلى الصف الرابع الابتدائى. وفيما يتعلق بـ«الدين العام» فيتم طرحه من خلال أصحاب هذا الفكر فى شكلين: (1) إما الحديث عن الديانات الإبراهيميَّة أو (2) الديانة الإبراهيميَّة الموحدة.

يقر الطرح الأول بوجود ثلاثة ديانات إبراهيمية، لكنه يسعى للقواسم المشتركة بينها، وهذا الطرح يبدو أكثر قبولًا، نظرًا لوجود اختلافات لا يمكن تجاوزها في

دين عالمي موحد، والطرح الثاني يتحدث عن دين واحد عام فقط مكون من القيم المشتركة بين الأديان الإبراهيميَّة، من خلال تأسيس مراكز متخصّصة، ورجال دين يتم انتقاؤهم بعناية، ومناهج دراسية معدلة وخدمات وبرامج مساعدات وتمويل متعدد المصادر لتنفيذ المشروع.

في 13 أكتوبر عام 2007 وجه 139 باحثًا مسلمًا ورجل دين خطابًا مفتوحًا لقادة كنائس العالم، عرضوا خلاله تفهمهم للأرضية المشتركة بين المسيحية والإسلام، وحمل الخطاب عنوان «الكلمة المشتركة بيننا وبينك»، ويطلب الخطاب السلام والتفاهم بين المسلمين والمسيحيين استنادًا إلى القيم التأسيسية للعقيدتين، «حب إله واحد وحب الجار»، وتجدد الطرح مرة أخرى بعد اعتداء 11 سبتمبر 2011، حيث تمت الدعوة إلى الوحدة والسلام عبر إيجاد أرضية مشتركة بين الأديان الثلاثة منها: أهمية النبي إبراهيم داخل الأديان الثلاثة كمرجعية روحيّة؛ التوحيد بالأديان السماويّة الثلاثة؛ الكتب المقدّسة رغم اختلافها لكن وجودها أساسي كمرجع ديني؛ القيم السماويّة في الأديان الثلاثة بخاصّة أن أغلبها مشتركة كالمحبة والإخاء والتسامح؛ المقدسات المشتركة داخل الديانات الثلاثة.

أمّا الطرح الثاني، أي طرح «الدين العالميّ الموحّد» فيقوم على كتابة دين جديد عالمي موحد للأديان يجمع القيم المشتركة بين الأديان، التي لا يوجد عليها خلاف ويدين المواطن لها، ويعد هذا الطرح الأقل قبولاً من الطوائف الدينية المختلفة في مختلف الأديان السماويّة لأنه يفرغ جوهر الأديان ويمحو وجودها، ومن رواد هذا الفكر القس Dr. Jaerock Lee في كوريا الجنوبية، رئيس منظمة عالم الروح المقدس الصليبى ورئيس مؤسسة الخلاص من العالم المسيحي، وقد أشار أيضًا إلى الدين الإبراهيمى الواحد الرئيس الأمريكى باراك أوباما، خلال تقرير الدين والدبلوماسيّة الصادر عن معهد «بروكنجز» الدوحة 2013، ومن الجدير بالذكر أن الدكتور «لي» ألّف كتابًا حديثًا يحمل عنوان القدس الجديدة، (يقدم القدس باعتبارها المدينة الإبراهيميَّة).

لكن الباحثة ترى أن الطرحين لا يختلفان عن بعضهما، فكلاهما يقومان على اعتبار أن تكامل الأديان هو جزء من الحل، كلاهما طرحان زائفان يمثلان خطورة على الأديان والمنطقة العربية، وتحذر الباحثة من أن القضية أبعد من كونها مجهودًا فكريًا أو بحثيًا فقط، فهي خطة وحركة آخذة فى التنامي، وهي محفوفة بالمخاطر والألغام لأن الحديث عن إعادة تأويل النصوص أمر محفوف بالمخاطر، لأن للاجتهاد ضوابطه وقواعده العلميّة ولا تحركه دوافع سياسية، ونقل قدسية دور العبادة إلى مراكز الدبلوماسيّة الروحيّة وقدسية الكتب السماويّة إلى ناتج القيم المشتركة بين الأديان خطير جدًا، ولأنّ الدعوة إلى الديانات الإبراهيميَّة أو الدين الإبراهيمي العالمي، رغم محاولات الترويج لاختلاف الطرحين لكنهما وجهان لعملة واحدة، كلاهما يدعو إلى التماهي الديني لصالح الديانة اليهودية، باعتبارها الديانة الأقدم، وكلاهما يؤدّي إلى ضياع الحق وسيخلق مشاكل كبيرة، لأن القبول بهذا المنطلق غير وارد لدى أنصار المسيحية والإسلام، بل لن ينتشر أيضًا بخاصّة أن «نصف العالم ملحد» ولن يقبل هذا الطرح. ولأنّ حل النزاع عبر المشترك الديني ونقله إلى الخارطة السياسية أمر خطير بخاصّة فى تزييف التاريخ وتغييره وربطه بتأويل للنص الديني وهو أمر يحتاج، بحسب جمال الدين إلى التأهب والانتفاضة[1].

(1) **موقع الوطن**، «الدبلوماسية الروحية».. بوابة «تصفية» الصراع مع إسرائيل، سيّد جبيل، 2018/3/13.

3. الأخبار[1]

البابا فرنسيس في أور السومرية: حديث الدين والتاريخ والسياسة
أكذوبة العقل الخرافي! آثار أور السومرية والمسألة الإبراهيميَّة

انتهتْ زيارةُ بابا الفاتيكان فرنسيس الأوّل إلى العراق، بحسب كاتب المقالة علاء اللامي، بنجاح بروتوكولي واضح، ولكنها خلّفت وراءها، مثلما سبقتها، تساؤلات كثيرة ذات مساس بالجوانب السياسية والدينية التاريخية لها وللمنطقة.

في طريق عودته إلى روما، نقل البابا للصحافيين المرافقين له على متن الطائرة انطباعات إيجابية كثيرة عن زيارته، ولم يقلل من أهميتها واستثنائيتها، وخصَّ لقاءه بالمرجع الشيعي السيد علي السيستاني بإطراء قوي؛ فقال إن اللقاء، الذي كان مقررًا أن يستغرق ربع ساعة استمرّ لثلاثة أرباع الساعة، كان حميميًا جدًا، وأنه «أراح نفسه» ووصف المرجع السيستاني بالرجل الحكيم ورجل الله...إلخ. وأشار البابا إلى أن إقدامه على هذا اللقاء لن يَسلَمَ من النقد فـ «هناك بعض المنتقدين الذين يقولون إن البابا ليس شجاعًا، لكنّه متهور وإنه يفعل أشياء تخالف العقيدة الكاثوليكية وتبعد خطوة واحدة من الهرطقة». وردًّا على سؤال لصحافي - انفردت «سي أن أن» بنقله - عما إذا كان اجتماعه بالسيد السيستاني قد يؤدي إلى إعلان مكتوب للوحدة الدينية، مثل توقيعه مع إمام الأزهر أحمد الطيب، إمام السنة الأكبر في أبو ظبي عام 2019 على ما سُمِّيَت «وثيقة الإخوة الإنسانية»، ردَّ البابا: «قد يكون ذلك فظاظة، لكنها خطوة أولى... ستكون هذه خطوة ثانية. سيكون هناك آخرون. رحلة الأخوة مهمّة»

(1) **جريدة الأخبار**، البابا فرنسيس في أور السومرية: حديث الدين والتاريخ والسياسة، علاء اللامي، 2021/3/17 .

بحسب اللامي، قد يُفهم من كلام البابا هذا أنّه كان متردّدًا في طرحِ فكرة التّوقيع على وثيقةٍ دينية جديدة مع المرجع السيستاني، أو التوقيع على الوثيقة السالفة الذكر نفسها، ولكنّه لم يطرحها، وعلّل ذلك بالسبب الذوقيّ والبروتوكولي خشية أن تنطوي الفكرة على شيء من «الفظاظة».

إنَّ محاولات تحويل هذه الوثيقة أو تطويرها لتكون وسيلة لتمرير مفاهيم وتفاهمات ليست منها، تتعلق بالتطبيع وإخراج الكيان الصهيونيّ العنصري «إسرائيل» من مأزقه التاريخي والجغرافي والجيوسياسي مبالغ بها، وأنها ببساطة لم تطرح هذه المرة حتى في حدّها الأدنى، كما يُفهم من كلام البابا فرنسيس

الوثيقة المذكورة والمعروفة بـ «وثيقة الأخوة الإنسانية» هي نص إنشائي عام مفعم بالآراء المعتدلة والنوايا الطيبة، فتطرقت إلى أهمية الحوار بين المؤمنين بالأديان وضرورة حماية دور العبادة ورفض «الإرهاب» ومفهوم المواطنة والمساواة وضرورة العلاقة التكاملية بين الشرق والغرب ومبادئ عامة أخرى تخلو ظاهريًا من أية أمور تثير الشبهة. فهي مثلًا لم تتطرق إلى المشاكل والصراعات السياسية في المنطقة أو إلى «ضرورة السلام» بين ما اصطُلح عليه بالصيغة المشبوهة «دول المنطقة» التي يُقصد منها الزجّ بالكيان الصهيونيّ بين دول المنطقة، وضرورة إقامة السلام معه على حساب قضية فلسطين وشعبها.

ويبدو أن محاولات تحويل هذه الوثيقة أو تطويرها لتكون وسيلة لتمرير مفاهيم وتفاهمات ليست منها، تتعلق بالتطبيع وإخراج الكيان الصهيونيّ العنصري «إسرائيل» من مأزقه التاريخي والجغرافي والجيوسياسي مبالغ بها، وأنها ببساطة لم تطرح هذه المرة حتى في حدّها الأدنى، كما يُفهم من كلام البابا فرنسيس.

لقد قيل الكثير من الشكوك والتفسيرات المبالغ بها حول طبيعة هذه الزيارة والأهداف غير المعلنة من ورائها، ولكن الزيارة انتهت كما بدأت دون أن تؤكد أيًّا من

تلك الشكوك والأهداف حتى الآن. خصوصًا أن البيان الذي صدر عن مكتب المرجع الشيعي السيد السيستاني بعد اللقاء بساعات، وخلال عرضه لوقائع الزيارة أشار بوضوح إلى معاناة الشعب الفلسطيني من الاحتلال في الفقرة الأولى من البيان، وقد رأى مراقبون هذه الفقرة ردًّا غير مباشر، ولكنه قويّ كفاية، على الذين شككوا بالهدف من لقاء البابا والسيستاني، وقطعًا للطريق على أية نوايا للاستثمار السياسي التطبيعي فيه كالدعوة إلى بناء «معبد مشترك للأديان الإبراهيميَّة» وتشييد بنية تحتية للسياحية الدينية في منطقة أور جنوب العراق التي زارها البابا.

أما بخصوص المقولات المكررة والتي أصبحت في عداد البديهيات بسبب تكرارها لا بسبب صحتها التاريخية حول مسقط رأس النبي التوراتي إبراهيم في أور الكلدانية أو «أور كسديم» كما ورد في النسخة العبرية من التوراة وهجرة العائلة الإبراهيميَّة من هذه المدينة إلى مدينة حران ثم إلى بلاد كنعان «فلسطين»، يمكن تسجيل الآتي:

كشف النقاب منذ عدة عقود عن إنَّ خرافة «بيت النبي إبراهيم في أور» هي واحدة من أخطاء وتلفيقات الآثاريَّين البريطانيَين تشالرز وولي وماكس مالوان في عشرينات القرن الماضي. وقد رصد الباحث العراقي عبد السلام صبحي طه حيثيات هذا الموضوع في مقالة مفصّلة وموثقة جيدًا بعنوان «أكذوبة العقل الخرافي! آثار أور السومرية والمسألة الإبراهيميَّة» ورد فيها أن المنقّب البريطاني تشالرز وولي كان قد أشار في أحد تقارير بعثته التنقيبيّة بين 1922 و1934، إلى أن خبير النقوش والكتابات في البعثة قد ترجم رقيمًا مسماريًا عُثر عليه في إحدى الدور السكنية تبعد مئات الأمتار عن الزقورة، مدوَّنًا عليه اسم «آبرامو»، كما عُثر على تمثال لكبش مزخرف، ربما كان قاعدةً لطاولة في غرفة ملكية أو في معبد، وجرى ربطه بكبش التضحية الوارد في قصة النبي إبراهيم. ويظهر من خلال تسلسل الأحداث أن تشارلز وولي سرعان ما أبرق إلى مموّليه من المتاحف والجامعات والجمعيات التوراتية عن هذا الكشف المبهر،

وهو أمر جرى حوله الكثير من اللغط في الأوساط الآثارية، وتم تفنيد هذه الترجمة، بل والموضوع برمته لاحقًا.

كان عدد من الآثاريين والمؤرّخين العراقيين قد نفوا صحة ما قيل حول نسبة النبي إبراهيم إلى مدينة أور الرافدينية العراقية، وفي الدار المنسوبة إليه

وقد زاد الطين بلة الآثاري البريطاني ماكس مالوان، والذي كان يرافق وولي، حين أبرق إلى صديق له في إنكلترا وذكر له الاكتشاف، (وحين علم مدير البعثة وولي بالأمر وبّخ مالوان بشدة، وجعله يبعث برقيةً ثانيةً إلى الصديق ذاته يلتمس منه فيها الصمت حتى يحين وقت إعلان النبأ. ويعترف في النهاية بأن ذلك الوقت لم يحِن أبدًا).

وفي الصدد ذاته، كان عدد من الآثاريين والمؤرّخين العراقيين قد نفوا صحة ما قيل حول نسبة النبي إبراهيم إلى مدينة أور الرافدينية العراقية، وفي الدار المنسوبة إليه بحسب اللامي.

وينقل اللامي عن فالدكتور عامر الجميلي من كلية الآثار في جامعة الموصل، قوله في مقالة له: «لا أعتقد جازمًا بأن مدينة أور العراقية القديمة هي المدينة المفترضة مسقطاً لرأس النبي إبراهيم، لأنني أعتمد على المصادر لكي أبني يقينًا، لكنني شخصيًا، بوصفي باحثًا في علم الآثار واللغات القديمة ومهتمًّا بتاريخ العراق والمنطقة وتراثها الثقافي، لا أعتقد جازمًا بأن الدار أو مجموعة الدور في مدينة أور العراقية القديمة، والتي يجري تسويقها على أنها كانت سكنى للنبي إبراهيم، الوارد ذكره في الكتاب المقدس، هي بالفعل كذلك، فلم تصلنا أدلة كتابية وآثارية من بلاد الرافدين تؤيّد الأحداث التي وردت في الكتاب المقدس عن شخصية باسم «أبراهام».

أما في «إسرائيل» نفسها فقد تصدّى عدد من الباحثين الأركيولوجيين لهذا الموضوع بالدحض والتشكيك، ومن هؤلاء الآثاري الشهير «فنكلشتاين» مؤلف كتاب «التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها» بالاشتراك مع زميله الأميركي سيلبرمان. فبعد حسابات

في «إسرائيل» نفسها تصدّى عدد من الباحثين الأركيولوجيين لهذه الموضوعة بالدحض والتشكيك، ومن هؤلاء الآثاري الشهير «فنكلشتاين» مؤلف كتاب «التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها»

ومقارنات يصل فنكلشتاين إلى التأكيد أن التوراة تقول إن «زمن مغادرة إبراهيم لموطنه الأصلي في حوالي سنة 2100 ق.م. ولكن هناك مشاكل في قبول هذا التاريخ، ليس أقلها العمر الطويل جدًا لإبراهيم وإسحاق ويعقوب الذي يتجاوز بالنسبة لكل منهم عمر المئة سنة بمدة مديدة. من الواضح أنه لا يمكن أن نعدّ هذا الأمر مجرد تناقض بسيط/ ص 64». علمًا أن أقلّ تقدير لعمر إبراهيم هو 175 مئة وسبعة وخمسون عامًا، وهناك تقديرات أخرى تقول إنه بلغ 195 من العمر، ويضيف فنكلشتاين قائلًا: «ولكن البحث عن الآباء التاريخيين بقي بلا نتيجة، وأثبت في النهاية إخفاقه/65».

إن الاستنتاج الذي يخرج به قارئ هذه السطور يفيد أن زمن مغادرة إبراهيم المفترضة لموطنه الأصلي جنوبي العراق حسب ما ورد في التوراة هو في حوالى سنة 2100 ق.م، والاستنتاج الذي توصل إليه الباحثان فنكلشتاين وسليبرمان هو أن تدوين هذه القصة لرحلة إبراهيم حدث في القرن السابع والثامن ق.م، وهكذا فالفرق الزمني بين رحلة إبراهيم التوراتي المفترضة وتدوينها في زمن الثقافة الشفاهية وانعدام التدوين أو ندرته الشديدة، هو بحدود 1400 سنة أي 14 قرنًا، فما الذي يتبقى من صدقيته التأريخية!

في التوراة تسمى المدينة التي ولد وعاش وهاجر منها إبراهيم «أوركسديم»، وتُرجم الاسم إلى «أور الكلدانيين». ومعروف أن أور مدينة قديمة، وكانت مسكونة منذ فترة ما قبل السومريين والتي يطلق عليها «فترة تل العبيد» التي نشأت وسادت فيها مستوطنات زراعية وذلك في فترة 2600 ق.م وما قبلها، ثم أصبحت عاصمة للدولة السومرية «السلالة الثالثة» عام 2100 قبل الميلاد في عهد الملك أورنمو، أي بعد سبعة

قرون من قيامها كمستوطنة للفلاحين والرعاة. أما الكلدانيون كشعب ودولتهم فقد جاءت بعد هذا التاريخ بعدة قرون تصل إلى أكثر من ألف عام، وأول ذكر للكلدانيين جاء في نصوص من عهد «آشور ناصر بال» نحو عام 883 ق.م، وأول مملكة كلدانية وعاصمتُها دور-ياقين، وأشهر ملوكِها كان الملك «مردوخ بلادان» قد توج وحكم بين سنتي 733 - 710 ق. م. إذًا، بين أور عاصمة السومريين 2100 ق.م، وبين الدولة الكلدانية 733 ق.م ثمة فترة زمنية طويلة تقارب 1400 عام فكيف جمعت التوراة أور بالكلدانيين؟ أم أن ما تقصده التوراة بـ«أوركسديم» «مدينة» أخرى؟

وهناك، بحسب اللامي، من يعترف بنصف هذه الحقيقة، فيقول إن أوركسديم «أور الكلدانية» لم تكن كلدانية، بل كانت أكدية وأنها وُصفت بالكلدانية مجازًا، لأن التوراة كُتبت في عهد الكلدانيين. من هؤلاء مثلًا المطران الكلداني سرهد جمو الذي قال في محاضرة له بتاريخ 19 أكتوبر 2013 م: «إن أور الكلدان، هي أكدية، ولأن العهد القديم كُتب في عصر متأخر أيام الدولة الكلدانية، فسمُّوها أور الكلدانيين كمن يقول إن كريستوف كولمبس اكتشف أو وصل إلى أمريكا، بينما لم يكن اسمها أمريكا حين وصلها كولمبس».

والواقع فهذه الحجة التي يسوقها المطران جمو، لتفسير وتبرير إطلاق صفة الكلدانية على مدينة أور السومرية هي حجة ضعيفة وهشَّة جدًا لأكثر من سبب؛ فأولًا، لم يكن السومريون مجهولين من قِبل كتّاب التوراة، وقد ورد ذكرهم في أسفارهم باسم شنعار وسُميت بلادهم «سهل شنعار». ونقرأ في تعريفات توراتية أن (شنعار - في العهد القديم - أطلقت على السهل الغريني بين نهرَي الدجلة والفرات، والذي عُرف بعد ذلك باسم بابل. ونقرأ في الإصحاح العاشر من سفر التكوين «10: 10» أن ابتداء مملكة نمرود كان في بابل وأرك، وهي «يوروك» السومرية، وتسمّى حاليًا «وركة»، وأكد أو «أجاد» عاصمة الفاتح السامي الشهير سرجون في الألف الثالثة

قبل الميلاد). وثانياً، فالدولة الكلدانية كانت قصيرة العمر جدًا، بل هي أقصر الدول الرافدينية عمراً، فلم يتجاوز عمرها ثمانية وثمانين عامًا ثم سقطت إثر الغزو الفارسي الأخميني، فكيف أصبحت «الكلدانية» صفة لمدن عريقة في التاريخ، وكانت ألفية الأعمار كأور السومرية؟

ويخلص اللامي إلى القول، ربما كان من المفيد التمعّن بما حدث في الصلاة التي أقيمت في مدينة أور الأثرية بحضور البابا فرنسيس وممثلين عن عدد من الأديان والطوائف الدينية الحية في العراق؛ فقد رتل الأب نشأت متي توزا، كاهن أبرشية بغداد الكلدانية، باللغة العربية وبصوته الشجي آيات من سفر التكوين - الإصحاح 12، وبعدها تُليت آيات من القرآن الكريم. والآية السابعة/ من الإصحاح 12 والتي تقول: «وتراءى الرب لأبرام وقال: «لنسلك أهب هذه الأرض». فبنى أبرام هناك مذبحًا للرب الذي تراءى له»، والمقصود هنا قطعة أرض صغيرة في شكيم الفلسطينية القديمة، كما تقول الآية السابقة لها، ولم يرتل الأب نشأت توزا الآية الثامنة عشرة والمثيرة للجدل من الإصحاح الخامس عشر، والتي نصها في الترجمة العربية «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام عهدًا قال: «لنسلك أهب هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات». أعتقد أن سبب ذلك هو في الإحراج الذي كانت ستولّده تلاوة هذه الآية التي جعلت منها الحركة الصهيونيّة اليهودية والمتشددون من الإنجيليين البروتستانتيين شعارًا لهم في العصر الحدث، وسوف نتوقف مستقبلًا عن موضوع هذا العهد تفصيلًا بهدف تفكيكه علميًا وتبيان أنه ليس من التوراة الأصلية بل أُضيف لاحقًا إلى الترجمات اليونانية للتوراة كما يقول بعض الباحثين.

إنَّ العهد أو الوعد الإلهي الثاني في الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين، الآية الثامنة عشرة أمر مختلف مضمونًا ومعنىً عن الوعد السابق له في الآية السابعة من الإصحاح 12، ومن الواضح أنه مبالغ به ولا يمكن تصديقه منطقيًا وسياقيًا، وحسنًا

فعل الأب نشأت توزا بعدم ترتيله! ثم ماذا ستفعل عائلة رعاة كعائلة إبراهيم، أو حتى عشيرة كبيرة أو شعب صغير من شعوب المشرق الجزيري «السامي» القديم بهذه المساحة الهائلة من الأرض من الفرات إلى النيل، والتي، إذا أخذنا بحرفية الآية التوراتية المذكورة، تشمل اليوم نصف مساحة العراق وكل سوريا ولبنان والأردن وفلسطين التاريخية ونصف مصر والسودان؟

4. الجزيرة نت[1]

التوراة تدحض خرافة «من النيل إلى الفرات»

تقول مقالة الجزيرة إنه شاعت في المؤلفات التاريخية في العالم بأسره منذ نحو قرنين خرافة لا أصل لها، ومفادها أن التوراة تتضمن وعدًا إلهيًّا بأن يعطي اللهُ النبيَّ إبراهيم أرضَ الميعاد (من النيل إلى الفرات)، وأنّ الرواية الاستشراقية كرّست هذا التضليل. بيد أن من ساهم في الترويج لهذه «الخرافة» وعلى نطاق واسع مؤلِّفون وباحثون من العرب والمسلمين. كما أنّ نظامَ التعليم المدرسي والديني في العالم العربي ساهمَ هو الآخر في تبني واعتناق القصة المُتلاعَب بها، عندما جرى تقديس هذا الوعد، والتسليم به كحقيقة مطلقة، دون أي فحص أو تدقيق في مضمون النصّ بلغتِه الأصلية. ويبدو أنّ الربطَ الخياليَّ بين أرضٍ ما بين النهرين (العراق القديم) ومصر جرى على خلفية فرضية زائفة تقول إن مسرح الأحداث في التوراة هو (مسرح فلسطيني). وتسجّل الجزيرة نت بضع ملاحظات حول هذه الأسطورة:

شاعت في المؤلفات التاريخية في العالم بأسره منذ نحو قرنين خرافة لا أصل لها، ومفادها أن التوراة تتضمن وعداً إلهيّاً بأن يعطي اللهُ النبيَّ إبراهيم أرضَ الميعاد (من النيل إلى الفرات)، وأنّ الرواية الاستشراقية كرّست هذا التضليل

أوّلًا: تقول الرواية الاستشراقية الزائفة إن النبي إبراهيم عليه السلام خرج من أور الكلدانيين، أي من أرض ما بين النهرين (العراق القديم)، لكن اسم أور هذا ورد في النص العبري من التوراة في الصورة التالية: أور- الكسديم **אור כשדים**. والتهجئة الصحيحة بالحرف العربي هي: (ء/و/ر .ك/س/د/ي/م).

(1) **موقع الجزيرة**، التوراة تدحض خرافة «من النيل إلى الفرات»، 2016/11/23.

والمثير للاهتمام، بحسب مقالة الجزيرة، أن سائرَ التّرجمات والطبعات وبكلِّ اللّغات، بما فيها الإنجليزية، تضمنت نفس التعبير المزيّف كلدانيين وليس كسديم (Ur of the Chaldees). المشكلة التي يثيرها هذا النص أن اسم كسديم لا يمكن أن يقرأ (كلدانيين) لأن العبرية لا تعرف انقلاب السين إلى لام. لكل ذلك، يمكن الجزم دون تردد أن سفر التكوين الذي روى قصة إبراهيم لا يقول قط إنه خرج من مكان يدعى (أور الكلدانيين) وأن مترجمي النص العربي والإنجليزي، وبقية اللغات، هم من وضع هذه الكلمة، بدلًا من الاسم الحقيقي في العبرية (كسديم כַּשְׂדִּים).

إنَّ نظامَ التعليم المدرسي والديني في العالم العربي ساهمَ هو الآخر في تبني واعتناق القصة المُتلاعَب بها، عندما جرى تقديس هذا الوعد، والتسليم به كحقيقة مطلقة، دون أي فحص أو تدقيق في مضمون النصّ بلغتِه الأصلية

ثانيًا: تنطوي هذه الرواية على خطأ تاريخي، ففي عصر إبراهيم 1800-1900 ق.م، لم يكن هناك شعب يعرف باسم (كلدانيين)، لأن هؤلاء سيظهرون بعد ذلك بنحو ألف عام من هذا العصر، وبالتالي، فمن غير المنطقي تخيّل وجود مدن كلدانية قبل ظهور هذا الشعب.

ثالثًا: يتحدث النص العبري من التوراة عن وعد إلهي بأن يهب الله النبي إبراهيم أرضًا، تمتد من (النهر) إلى (النهر الكبير). ولا توجد في هذا النص قط أي إشارة إلى نهر النيل أو الفرات. ولذلك؛ فإن كل المزاعم القائلة بأن تكون له الأرض من (نهر النيل إلى الفرات) هي محض مزاعم لا أساس لها، وهي تبدو أمرًا يستحيل تصديقه، وما من عاقل يمكنه تصديقَ أنّ الله منح قبيلةً صغيرةً واحدة إمبراطوريةً كبرى، تمتد من بلاد ما بين النهرين حتى مصر. لقد جرى استغلال هذا الفهم المغلوط للنصّ بطريقة مأسويّة، وبحيث نجم عنه تخيّل مملكة إسرائيل على أنها تمتدُّ من النيل المصري إلى الفرات العراقي.

ما يقوله نصّ سفر التكوين، كما في الطبعة العربية وبقية اللغات، هو التالي: « فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، ونَهْرِ الْفُرَاتِ» בַּיּוֹם הַהוּא, כָּרַת יְהוָה אֶת-אַבְרָם--בְּרִית לֵאמֹר לְזַרְעֲךָ, נָתַתִּי אֶת-הָאָרֶץ הַזֹּאת, מִנְּהַר מִצְרַיִם, עַד-הַנָּהָר הַגָּדֹל נְהַר-פְּרָת.

وهذه ترجمة مزيّفَة ومضلِّلَة. ولنلاحظ هنا أنّ النصّ العبريَّ الأصليَّ يستخدم صيغة م/ نهر مصريم מִנְּהַר מִצְרַיִם (من نهر مصريم מִנְּהַר מִצְרַ وليس من نهر مصر). كما أنه يستخدم جملة (حتى النهر الكبير עַד-הַנָּהָר הַגָּדֹל). ولا يقول (الفرات). أما الإضافة (نهر فرات- فرث נְהַר-פְּרָת) فهي إضافة متأخرة لم تكن موجودة في النص القديم من التوراة، وقد نقلت عن نص يوناني.

بكلام آخر، وبحسب المقالة، تمّت إضافة كلمة (فرت-فرث) إلى النص التوراتي، نقلا عن هوامش وتوضيحات النصّ اليوناني. والأصل في الجملة هو (من نهر مصريم إلى النهر الكبير)، على هذا النحو ظهرت خرافة (من النيل إلى الفرات) استنادًا إلى تفسير (تأويل) محرري النص اليوناني. ولهذا فإنّ تناقضات النصّ التوراتي لن تكون قابلة للحل، إلا بالقطع نهائيًا وبشكل تام، بين جغرافية فلسطين وجغرافيّة الحدث التوراتيّ، وهذا يعني أن على المؤرخين الجدد في العالم العربيّ مهمة كبرى.

في الواقع لم يكن اسم الفرات معروفًا حتى العصر الآشوري بهذا الاسم، والمؤكد طبقًا للوثائق الآشورية الرسمية، فقد كان اسمه بورانو Buranum ,Burunna وليس الفرات، ولذلك يبدو اعتبار صيغة (فرت) على أنها تعني (الفرات) في العصر الآشوري، حين خرج إبراهيم حسب المزاعم، صيغة هي الأقرب للخيال منها للعلم.

رابعًا: إن اسم مصر في عصر إبراهيم لم يكن معروفًا، والسجلّات المصريّة الرسميّة تؤكّد أنّ اسمَ مصر ظهر فقط بعد 750 ق.م، وأنّ الاسمَ الذي عُرِفَت به هو (إيجبت-القبط). هذا يعني أن هناك فارقًا زمنيًا هائلًا، يفصل بين ما تقوله الرواية التوراتية

-كما قُرِنَت استشراقيًّا- وبين ما تقوله السجلات المصريّة التاريخية، قد يصل إلى 1200 عام.

إن تناقضات النص التوراتيّ لن تكونَ قابلةً للحلّ إلا بالقطع -نهائيًا وبشكل تام- بين جغرافية فلسطين وجغرافية الحدث التوراتي. وهذا يعني أن على المؤرخين الجدد في العالم العربي مهمة كبرى، هي تحرير فلسطين من أسر (المخياليّة) التي طبعت بطابعها كل الدراسات والأبحاث والمؤلفات التي تناولت تاريخ فلسطين.

عندما نتمكن من فكّ الارتباط بين جغرافيا النصّ التوراتي وفلسطين؛ فإن الطريق سوف يصبح سالكا أمامنا، لنروي تاريخنا بصوتنا لا بصوت المستشرقين.

عندما نتمكن من فكّ الارتباط بين جغرافيا النصّ التوراتي وفلسطين؛ فإن الطريق سوف يصبح سالكًا أمامنا، لنروي تاريخنا بصوتنا لا بصوت المستشرقين.

5. موقع ميدل إيست أونلاين[1]

«الإبراهيميَّة الجديدة» وخدعة التسامح

في ظل الأحداث الدامية التي يموج بها عالمنا لبسط الهيمنة والنفوذ، وجد أصحاب المصالح متنفسًا لمخططات شريرة للاستيلاء على دول ومناطق بأكملها دون إراقة قطرة دم واحدة. وكانت كلمة السر التي تفتح المغاليق هي «نشر الود والتسامح»، وانطوى ذلك على استحداث ديانة تشتق نواميسها من الأديان السماويّة الثلاث - اليهودية والمسيحية والإسلام (حسب ترتيب نزولهم) - وتدعو إلى نشر التسامح وقبول الآخر. وبما أن الديانات السماويّة تسمى بالديانات الإبراهيميَّة – نسبة إلى سيدنا إبراهيم أبو البشر والذي تعترف به الأديان الثلاثة، فالديانة المستحدثة أطلق عليها «الديانة الإبراهيميَّة الجديدة».

ومصدر «الديانة الإبراهيميَّة الجديدة» مراكز بحثية ضخمة وغامضة، انتشرت مؤخرًا في ربوع العالم، وأطلقت على نفسها اسم «مراكز الدبلوماسيّة الروحيّة»، ويعمل على تمويل تلك المراكز أكبر وأهم الجهات العالمية، مثل: الاتحاد الأوروبي، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والولايات المتحدة الأميركية. والرؤية والرسالة الظاهرية لتلك المراكز البحثية تعتمد على توكيد أن «الأديان» هي السبب الرئيسي والجوهري لإشعال أشد الصراعات عنفًا على مر العصور؛ والسبب عدم تقبل الآخر بسبب عدم فهم نصوص ديانته.

ومن ثم، أخذت «مراكز الدبلوماسيّة الروحيّة» التي تعمل في إطار نشر المحبة والتسامح على عاتقها مهمة دعوة كبار رجال الدين في الأديان الإبراهيميَّة الثلاث، من أجل إيجاد قيم عامة مشتركة بين الأديان، مثل: المحبة، والتسامح، المساواة،

(1) 2021/10/15

والتعايش، وتقبل الآخر، إلى غيرها من القيم الحميدة، ثم تَشرَع في بثها بخاصَّة بين الأجيال الجديدة من أجل غرس كره خفي للأديان التي يتبعونها، وخلق ميلٍ إزاء اعتناق الدين الإبراهيمي الجديد. ولقد بدأت، بالفعل، «مراكز الدبلوماسيّة الروحيّة» في تنفيذ مخططاتها على نطاق واسع.

وبما أن النشء هم على رأسِ الفئات المستهدفة، قامت تلك المراكز بتوزيع كتيبات تنطوي على مجموعة من القيم السامية على المدارس الدولية (والمعروفة باسم المدارس الإنترناشيونال)، والتي تشتهر برفضها لتدريس مادة الدين، وبدلًا منه تحرص على تدريس مجموعة من القيم العامة تُعطى للطلاب في شكل كتيبات تغطي قيم الدين الإبراهيمي الجديد. فما يحدث بالفعل هو عملية غسيل مخ للنشء؛ بغرض إعداد أجيال تُقبِل على اعتناق الديانة الإبراهيميَّة الجديدة عند طرحها في المستقبل القريب على أنها الدين العام العالمي، عندئذٍ، تتحول المراكز البحثية إلى أماكن ومزارات مقدسة تحل محل المعبد والكنيسة والجامع.

وقد يرى البعض أن الدين ونشر القيم ليس له علاقة بالسياسة الخارجيّة. ولكن مع تغيير الاتجاه العالمي للسياسة الخارجيّة، تم توظيف الدين كأحد ركائز الحلول المطلقة لمعضلات سياسية. وبالفعل، تم اختبار ذلك في حيز محدود فيما يسمى بـ«مؤتمرات حوارات الأديان» التي ساهمت في تهدئة أوضاع متأزمة بين الدول، ولكن على نحو نخبوي.

لكن إقرار السلام يتطلب حسابات أخرى تكفلت بها مراكز «الدبلوماسيّة الروحيّة» التي رأت أن حل الصراعات ممكن إذا أعيد تفسير النصوص الدينية بشكل تنويري يحقق السلام. وعند وجود أي نص عدائي أو يدعو للعنف، يأتي هنا دور القادة الروحيّين في إعادة التفسير والتأويل. وذلك الاتجاه ليس بالغريب أو البعيد عن عالمنا المعاصر؛ حيث يطالعنا الإعلام في كل يوم بوجوه جديدة لا ترتدي عباءة رجال الدين، لكن تدّعي التنوير والتدين، وتأخذ في إعادة تأويل النصوص الدينية، ونصوص التفسير

لتمهيد الطريق لعمل مراكز «الدبلوماسيّة الروحيّة» التي تنتشر في مراكز الصراع، وتركز على قيم الود والتسامح، بخاصّة ما يختص بالقضايا الشائكة في الشرق الأوسط. وعلى هذا، تُرسَّخ في الأذهان فكرة أن الأديان القائمة في شكلها الحالي ما هي إلا مصدر للمتاعب، ويجب إعادة تأويلها بشكل مسهب لدرجة تمنح الدين وقضاياه ميوعة لا يمكن بعدها تمييز قيم دين عن الآخر.

ولتسهيل مهمة «مراكز الدبلوماسيّة الروحيّة»، كان من اللازم تقريبها للجمهور من الناس، وتقديمها مدنيًّا - تحت مسميات مختلفة - على أنها مراكز تنموية تقدم مساعدات مادية وعينية للمتضررين في أماكن الصراع. وبوصفها مراكز روحيّة، فإنها تعمل على تقديم الرعاية الطبية، وتقديم المساعدات العينية، وتمول المشروعات الصغيرة. وبالتأكيد، المعين الذي لا ينضب لتلك المراكز هو التمويلات الضخمة التي تتلقاها من صندوق النقد، والبنك الدولي، والإتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة. وشيئًا فشيئًا، يسهل الانصراف عن الأديان السماويّة، واستبدالها بالدين الجديد، والذي اتخذ شكلًا ملموسًا على أرض الواقع تجسد في اتجاه الكثيرين لاعتناق مجموعة من القيم والأفكار الروحيّة السامية، دون التطرق لمفاهيم الأديان وتعقيداتها.

توظيف القوى الناعمة في حسم الصراعات لصالح الدول الباحثة عن الهيمنة وبسط النفوذ، يضمن أفضل النتائج بدون تكبد خسائر مادية، أو دفع فاتورة حرب باهظة الثمن. فمن خلال نشر قيم الدين الإبراهيمي الجديد، لن يجد الأفراد غضاضة في تقبل بسط دول أخرى نفوذها عليهم، حتى وإن كانت محفورة في الأذهان كدولة معادية. وبما أن المستهدف هو الجيل الجديد، كان لا بد من تشويه معالم أديان بعينها. ولعل ذلك يجيب التساؤل عن سبب تمكين تيارات الدين السياسي في المنطقة بعد ما يسمى بثورات الربيع العربي.

6. الشرق الأوسط[1]

الدبلوماسيّة الدينية والمشترك الإبراهيمي

في موقف مخالف لما ورد في المقالات السابقة، ومؤيّد لطرح « الديانة الإبراهيميَّة الجديدة، وما تقوم به دولة الإمارات بالخصوص للترويج لـ «الدين الجديد»، كتب رضوان السيّد[2] مقالة قال فيها إنّ المشترك الإبراهيمي أو العهد الإبراهيمي بين الديانات الثلاث ما دخلَ في دبلوماسيّة الدول وخطابِها في السياسة الخارجيّة حقًا إلا في السنوات الأخيرة، من جانب دولة الإمارات العربية، وأنّ ذلك التساوق والتأثير أو العمل المشترك مع دعوة الأزهر ومجلس الحكماء ومنتدى تعزيز السلم (مقرّه أبو ظبي)، من رفْع لواء التسامح والتعارف إلى الدخول من طريق المشترك الإبراهيمي، إلى وثيقة الأخوة الإنسانية بين شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان (4 فبراير/ شباط 2019)، إلى ميثاق حلف الفضول الجديد من جانب منتدى تعزيز السلم، ورئيسه الشيخ عبد الله بن بيه، عام 2019 أيضًا. وقد انطلق كلا الإعلانين من أبوظبي كما هو معروف.

يسأل السيّد لماذا الالتفات إلى هذا الموضوع وهذه المقولة الآن؟ ويجيب بأنّ ذلك يرجع لسببين: وفاة اللاهوتي الكاثوليكي «هانس كينغ» الذي كان معنيًا في العقود الثلاثة الأخيرة بالقواسم المشتركة في أخلاقيّات الأديان، وصدور كتاب بالعربية بعنوان: «الدبلوماسيّة الروحيّة والمشترك الإبراهيمي: المخطط الاستعماري للقرن الجديد»!

بحسب السيّد فإنّ المسألة الإبراهيميَّة، أو مركزية شخصية إبراهيم أبي الأنبياء في الديانات الثلاث (اليهودية والإسلام والمسيحية)، هي مسألة لاهوتية بحتة، فكّرت فيها أوساط كاثوليكية يسوعية وفرنسسكانية في خمسينات القرن العشرين

(1) **موقع الشرق الأوسط**، الدبلوماسية الدينية والمشترك الإبراهيمي، رضوان السيّد، 2021/4/16.
(2) كاتب وأكاديميّ وسياسي لبناني وأستاذ الدراسات الإسلامية في الجامعة اللبنانية.

المسألة الإبراهيميَّة، أو مركزية شخصية إبراهيم أبي الأنبياء في الديانات الثلاث (اليهودية والإسلام والمسيحية)، هي مسألة لاهوتية بحتة، فكّرت فيها أوساط كاثوليكية يسوعية وفرنسسكانية في خمسينات القرن العشرين تحت تأثير المستشرق البارز لويس ماسينيون

تحت تأثير المستشرق البارز لويس ماسينيون (ت. 1961م)، ومن ضمن أنصارها رجال دين فرنسيون وإيطاليون وسويسريون (هانس كينغ)، ومن اللبنانيين ميشال حايك الذي كتب أُطروحة عن إبراهيم في القرآن، ويواكيم مبارك، وكلا الكاهنين من تلامذة ماسينيون، فكانت لذلك كلّه أصداء واسعة في مجمع الفاتيكان الثاني (1962 - 1965) ووثيقته النهائية. لقد كان الموضوع «حصرية الحقيقة والخلاص»؛ تقول وثيقة المجمع إنّ اليهود والمسلمين يشاركون في الخلاص، باعتبار الوحدانية، وباعتبار الدعوة الإبراهيميَّة الجامعة، كما يظهر في العهد القديم وفي القرآن. وهذا القاسم المشترك الكبير تأسّست عليه كل دعوات الحوار منذ الستينات. وفي البداية، ما تحمس لذلك لاهوتيو اليهود، ولا الإنجيليون البروتستانت، كلٌّ لأسبابه الخاصة التاريخية والعقدية.

يضيف رضوان السيّد، في الواقع، فإنّ الدبلوماسيّة ذات الغطاء الديني جرى استخدامها سياسيًا في الحوار بين المسيحيّين والمسلمين منذ الخمسينات. لكنّ المستخدمين كانوا من الكنائس الإنجيلية الأميركية (في مؤتمر بباكستان، ومؤتمر ببحمدون في جبل لبنان)، وكان هناك عنوانان شديدا الالتصاق بالمسائل السياسية، وهما الإيمان والحرية، في مواجهة الإلحاد والاستبداد الشيوعي. ولذلك فإنه ما كان لذلك صدى إيجابي لدى المسلمين المدعوّين للحوار، وهم من غير الرسميين. وشعارا الإيمان والحرية استخدما من جديد (دونما ذكرٍ لإبراهيم أيضًا) في الثمانينات من القرن الماضي، أيام الرئيس ريغان، وفي الوقت نفسه لاجتذاب البابا يوحنا بولس

بداعية الثوران في بولندا. وفي السياق ذاته، حتى الثوار الأفغان صاروا مجاهدي الحرية والإيمان في وجه الطغيان الشيوعي!

السّردية الإسلامية تتوازى مع السّردية اليهوديّة في التحدّر من إبراهيم نسَبًا من خلال إسحاق (جد الأسباط الإثني عشر) وإسماعيل (الجد الأعلى للنبي محمد)، ودعوةً من خلال الوحدانية. لكنّ الجدال الأول بشأن الانتساب إلى إبراهيم ما جرى مع اليهودية، بل مع المسيحيين بالجزيرة والشام. المسلمون، كما يقول السيّد، عدّوا أنفسهم توجهًا أو فرعًا (الحنيفية) في الشجرة الإبراهيميَّة الباسقة، فحتى الكعبة بمكة تشارك في بنائها إبراهيم وابنه إسماعيل من هاجَر. وقد كانت الدعوة المحمدية تهديدًا لليهود في الواقع، أما في الاعتقاد فقد تنكروا لكلا الدينين، بصفتهم الوارثين الحصريين لإبراهيم دينًا وأرضًا، في حين كان الأمر مختلفًا تمامًا لدى المسيحيين، فالشخصية المركزية في الدين هي المسيح، وبه يُعلَّلُ وجود العالم كلّه، بما في ذلك وجود إبراهيم الذي كان، مثله مثل كل الرسل السابقين، مبشرًا بالمسيح.

يدعو السيّد أتباع الديانتين الإسلامية واليهودية، إذا أرادوا أن يكونوا إبراهيميّين حقًا، فإنّ عليهم أن يؤمنوا بألوهية المسيح مثلما آمن إبراهيم، حسب هذا الاعتقاد! ويبدو تجذُّر هذا الاعتقاد من اختلاف النظرة إلى إبراهيم في القرآن والإسلام حتى بين الأب ميشال حايك والأب يواكيم مبارك. فبحسب حايك، فإن محمداً النبي الخاتم هو الشخصية المركزية في الإسلام، بينما يرى مبارك أن القرآن في السور المكية والمدنية يعد أنّ صدق دعوة النبي متأتٍّ من أمانته في اتباع جدّه إبراهيم الذي تملكته اليهودية وتجاوزته المسيحية في تأويلية راديكالية.

يذهب رضوان السيّد إلى الادّعاء بأنّ اليهوديّة والإسلام دينان تاريخيان، أما المسيحيّة فدينٌ فوق تاريخي، وأنّ المسيحية الكاثوليكية حققت، برأيه، اختراقاً كبيراً

باتجاه التاريخ عندما عَدّت الإبراهيميَّة جامعًا خلاصيًا وأخلاقيًا بين الديانات الثلاث... وإلى هذا الأفق الجامعِ أراد الرئيس السادات الاتجاه عندما فكّر في اجتماع الديانات الثلاث في سيناء، والسلام الإبراهيمي.

وصحيحٌ، بحسب رضوان السيّد، أنّ الدبلوماسيّة الروحيّة أو الدّينية (وليس الإبراهيميَّة) استُخدِمَتْ بعد عام 2001 بكثافة، لكنها كانت اشتراطية اعتذارية، وربما استبعادية، وليست بقصد الجمع والضمّ والاعتراف المتبادل أو التعارف. ولذلك جاءت دبلوماسيّة البابا فرنسِس الإبراهيميَّة لتركّز على قيم اللقاء داخل الإبراهيميَّة، ومن ضمنها التسامح والرحمة والتراحم والأخوة والضيافة والجوار والعدالة والسلام، التي اكتشفها هانس كينغ تحت تلبدات النزاعات التاريخية والحاضرة، ليس بين الديانات الإبراهيميَّة فقط بل في البوذية والهندوسيّة أيضًا.

يذهب رضوان السيّد إلى الادّعاء بأنّ اليهوديّة والإسلام دينان تاريخيان، أما المسيحيّة فدينٌ فوق تاريخي، وأنّ المسيحية الكاثوليكية حققت، برأيه، اختراقاً كبيراً باتجاه التاريخ عندما عَدّت الإبراهيميَّة جامعاً خلاصياً وأخلاقيّاً بين الديانات الثلاث... وإلى هذا الأفق الجامعِ أراد الرئيس السادات الاتجاه عندما فكّر في اجتماع الديانات الثلاث في سيناء، والسلام الإبراهيمي

ما كان صحيحًا في الماضي، وليس صحيحًا اليوم، برأي رضوان السيّد، أنَّ المشترك الإبراهيمي خطابًا استعماريًا لأنّ فلانًا أو علانًا من الأميركيين وغيرهم ذكره أو خطب فيه أو دعا إليه. فالمسلمون عانوا، كما عانى دينهم، من الاستبعاد لعصورٍ متطاولةٍ، من جانب المسيحية المسيطرة بالذات. وزادت الطين بلّة تيارات التطرف والإرهاب. ويخلص السيّد إلى القول، نحن باعتبارنا كبشر، وأهل دين عالمي، وكون ديننا جزءًا من كرامتنا وإنسانيتنا، لدينا مصلحة كبرى في هذا الاعتراف المتبادل الذي يقود الدعوة إليه وإلى إحقاقه البابا فرنسِس، وتنخرط فيه من الجانب الإسلامي مؤسسات

دينية كبرى ومدنية بارزة وجهات سياسية معتبرة. وما من شيء من ذلك فيه «تقليد» للاستعمار، ولا عملٌ له. فكفانا أوهامًا وفصاميات؛ لا نريد أن نخاف من العالم، ولا أن نخيفه، بل نريد أن نكون ونبقى جزءًا في حاضره ومستقبله، ودائمًا بحسب رضوان السيّد.

7. الجزيرة نت[1]

الأديان التوحيدية والسياسة عند مارسيل غوشيه

تحاول هذه المقالة أن تعرض بإيجاز ودون نقاش كثير، لموقف المؤرخ والمفكّر الفرنسيّ مارسيل غوشيه من طبيعة العلاقة بين الأديان «التوحيدية» والسياسة في العلم الحديث، وخصوصية الإسلام. ومن المعروف أنّ غوشيه يعمل منذ أكثر من 40 سنة على قضايا الدّين والحداثة، والدّين والسياسة، وعلاقة الأديان التوحيدية بخاصَّة المسيحية بالدولة والديمقراطية. والملفت أن صاحب مقولة «انحسار الدين»، لا يجد تعارضًا بين الإسلام والديمقراطية.

خروج الدين من العالم

يُعرف مارسيل غوشيه بأنه أحد منظري فكرة نهاية الدين، وقد اشتهر بكتابه «فك السحر عن العالم» الصادر 1985، الذي سلط فيه الضوء «على ما كانت عليه سلطة الدين التنظيمية في المجتمعات الإنسانية»، والطريقة التي اتبعها الغرب للخروج من الدين. عنوان الكتاب في الأصل عبارة للشاعر شيلر شهَّرها ماكس فيبر كمفهوم تحليلي للحداثة والعلانية الغربيّة. شدد غوشيه في الكتاب على أن هذا العصر هو عصر الخروج من الدين. وطوّر أطروحته لاحقًا لكنه احتفظ بجوهرها. يتحدث غوشيه أساسًا عن علاقة الدين والسياسة في التاريخ الأوربي، والمسيحية بالذات التي يراها «ديانة الخروج

يتحدث غوشيه أساسا عن علاقة الدين والسياسة في التاريخ الأوربي، والمسيحية بالذات التي يعتبرها «ديانة الخروج من الدين».
وانسحاب الدين لا يعني خروجه من حياة الناس كممارسة فردية، «وإنما الخروج من عالم يكون الدين فيه بحد ذاته منظما بنيويا، ويوجه الشكل السياسي للمجتمعات»

(1) **موقع الجزيرة**، الأديان التوحيدية والسياسة عند مارسيل غوشيه، 2021/2/21.

من الدين». وانسحاب الدين لا يعني خروجه من حياة الناس كممارسة فردية، «وإنما الخروج من عالم يكون الدين فيه بحد ذاته منظّمًا بنيويًا، ويوجه الشكل السياسي للمجتمعات».

وسّع غوشيه أطروحته عن حركة «فك السحر عن العالم» في عمل من أربعة أجزاء تحت عنوان: نشأة الديمقراطية أو ظهور الديمقراطية، صدر الجزء الأول 2007 والرابع 2017، وطموح هذا الكتاب» هو دراسة حدة هذه الحركة، وتطوراتها الأخيرة، عند ما أخذت طابع تكريس قدرة الإنسان على كم نفسه بنفسه» دون العودة إلى الدين. ولكن من المفارقات أن انحسار الدين عند غوشيه لا يعني تقدم العلمانية، إذ «بالموازاة مع تهميش الكنائس أمست العلمانية بدورها واقعة بلا روح».

اليهودية-المسيحية والدولة

يقرر غوشيه أن تجربة الديانة اليهودية وطبيعة المسيحية سهلًا مسار خروجهما من السياسة في المجتمعات الغربيّة-الأوربية الحديثة. لأن اليهودية «عملت على إعادة تعريف نفسها كديانة لشعب الشتات .. وترتب عن ذلك احتماء اليهودية بالهوية وانقطاعها عن السياسة». في حين أن طبيعة المسيحية ذاتها في تصورها للألوهية ساعدت على انسحابها من السياسة. كتب غوشيه «الدين في الديمقراطية 1998، وهو كما يقول محمد الشيخ «كتاب في المراجعات والمفارقات». هدفه مراجعة العديد من المسلمات حول العلاقة بين الدين والدولة والديمقراطية في الغرب عمومًا وفرنسا خصوصًا. ينطلق غوشيه من مسلّمة مفادها

يقرر غوشيه أن تجربة الديانة اليهودية وطبيعة المسيحية سهلا مسار خروجهما من السياسة في المجتمعات الغربيّة-الأوربية الحديثة. لأن اليهودية «عملت على إعادة تعريف نفسها كديانة لشعب الشتات .. وترتب عن ذلك احتماء اليهودية بالهوية وانقطاعها عن السياسة». في حين أن طبيعة المسيحية ذاتها في تصورها للألوهية ساعدت على انسحابها من السياسة

أن ما نراه من قطيعة بين الدين والدولة ليس على ظاهره. لذلك يستعمل مارسل غوشيه مفهوم الخروج من الدين لتوصيف العلاقة بين الدين والدولة ومسار الحداثة، بدلًا عن مفهوم العلمانية لأنه مشوش في نظره.

يلح غوشيه على أن العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية في أوروبا الحديثة ليست قائمة على القطيعة المطلقة، بل هي أقرب إلى القلب، أي «تحول العنصر الديني القديم إلى عنصر آخر غير الدين» أي بروز الديني بوجه دنوي، أو انصهار اللاهوت في الناسوت. وعلى الرغم من أن «هناك هوة ميتافيزيقية تفصل بينهما»، فثمّة ما يجمع بين السلطتين، لدرجة أن المسار التاريخي للأنظمة التمثيلية لا يمكن أن نفهمه إلا انطلاقًا من ذلك.

خصوصية الإسلام

تنصبُّ دراسات غوشيه على الديانتين اليهوديّة والمسيحية، وعلى المسيحية بالذات أكثر من غيرها، إلا أنه في أعماله المتأخرة بدأ يتعرض للإسلام من حين لآخر بصفته دينًا ينتمي إلى الجذع الإبراهيمي. وبسبب تنامي ظاهرة التطرف المنسوب إلى الإسلام. وينفرد الإسلام بحسب غوشيه بثلاثة أمور:

- أنه جاء بعد الديانتين التوحيديتين ويعرف نفسه انطلاقًا من ذلك، وبهوية محددة هي ختم النبوة. كما يقول غوشيه: «**الإسلام هو تنظيم وتيسير لما سبق وأن شُيِّد في اليهودية والمسيحية**»
- «**فرادة الإسلام الثانية، هي توطده بالغزو، فقد خلق إمبراطورية ذات نزعة كونية، هي التجسيد لوحدانية الله مترجمة في وحدانية الأمة الإسلامية، وقد لعب هذا دورًا كبيرًا في طريقة فهم الإسلام لحركة الحقيقة الإلهية**».
- طبيعة الوحي في الإسلام، فهو كلام الله المباشر الأزلي، وفكرة الوسطاء غير

موجودة في الإسلام. يقول غوشيه «**إن الإسلام يساوي بين الناس فيما يخص ولوج الوحي، بحيث يحق لكل مؤمن التوجه مباشرة إلى الله**».

يلح غوشيه على أن العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية في أوربا الحديثة ليست قائمة على القطيعة المطلقة، بل هي أقرب إلى القلب، أي « تحول العنصر الديني القديم إلى عنصر آخر غير الدين» أي بروز الديني بوجه دنوي، أو انصهار اللاهوت في الناسوت

وتلك الخصائص الأساسية للإسلام أكسبته خصوصية، جعلته يتميز عن اليهودية والمسيحية بوضوحه وعقلانيته، يقول غوشيه «إذا كان ثمة دين تنطبق عليه مقولة العقلنة الفيبرية فهو الإسلام. وما الإسلام بالفعل إلاّ عقلنةَ لفكرة التوحيد» في الديانتين السابقتين. ونفس العقلنة تنطبق على شروط الوحي، وعلى قواعد تأويل القرآن.

الإسلام والديمقراطية

من اللافت للانتباه أنّ غوشيه الذي يرى خروج الدين من الحياة العامة شرطًا لقيام الدولة الحديثة وتحقق الديمقراطية، ينظر إلى الإسلام بإيجابية كبيرة في هذا المقام. ولِنَفهمَ أطروحة غوشيه أكثر يُستحسنُ أن نموقِعَها داخل الفكر الغربيّ المعاصر. حيث تحتل أطروحة غوشيه منزلة خاصة في النقاش المحتدم حول الإسلام والسياسة. ينقسم الفكر الغربيّ المعاصر في نظرته إلى علاقة الإسلام بالديمقراطية إجمالًا إلى توجهين كبيرين:

الأول: سلبي يقول إن طبيعة الإسلام منافية للديمقراطية إما لأنّ اللاهوت والسياسة متطابقان في الإسلام، وذلك يمنع من الانتقال إلى الدولة الحديثة التي هي شرط الديمقراطية، وهذا الطرح يجعل العيب في الإسلام؛ وإمّا لأن الرؤية السياسية الإسلامية مثالية قائمة على الأخلاق، ولا ينبغي أن تخضع لشروط الدولة الحديثة المنافية للقيم الأخلاقيّة، وهذا الطرح يجعل العيب في الدولة الحديثة.

الثاني: إيجابي ويقول إن الإسلام يمكن أن يكون ديموقراطيًّا من وجهين: أن يمر

بنفس الطريق التي مرت بها اليهودية والمسيحيَّة في الغرب، ويخضع لنفس الشروط التاريخية التي خضعت لها؛ وأن طبيعة الإسلام اللاهوتية نفسها تجعله ديموقراطيًّا إذا تجاوزنا الأمور الشّكلية والتجارب التاريخيّة إلى الحقائق الجوهرية؛ وهذا صلب أطروحة غوشيه.

يتلخص موقف غوشيه من ديمقراطية الإسلام في قوله: «لا أرى أنّه يوجد عدم تلاؤم لاهوتي مبدئيّ بين الإسلام والديمقراطية. ويبدو لي أنّه بالإمكان أن نكوّن بيُسرٍ وفي العمق نظرة عن الديمقراطية الإسلامية».

8. الجزيرة نت

مارسيل غوشيه.. وأطروحة انسحاب الدين من العالم المعاصر

تتضارب مواقف نظريات العلوم الاجتماعية بشأن علاقة الدين بالعالم المعاصر، فمنهم، كمؤسسي هذه العلوم كإميل دوركايهم وماكس ڤيبر، من مال، بحسب مقالة الجزيرة، إلى ترجيح فرضية انسحاب الدين من العالم الحديث، وذلك توازيًا مع تقدم العلم وتطور الصناعة وتعقد تقسيم العمل، وسواد التمدين وانتشار الديموقراطية في شكلها العلماني، وظهور دولة الرفاه وبروز الفردانية، إذ ستكون نتيجة كل هذا هي انحسار وتقلص تأثير الدين على المجتمعات المعاصرة، وتراجع مكانته إلى أن ينسحب كلّيًا من الزمن الراهن (مارسيل غوشيه.1985).

من جهة أخرى يحاجج بعض علماء الاجتماع، بأن أطروحة العلمنة وانسحاب الدين من العالم الراهن، مجرد موقف متجاوز يفتقر إلى الدقة العلميّة والواقعية (مثل بيتر بيرغر.1999 وخوسيه كازانوفا.1994)، ويستدلون على ذلك بـ«المجتمع الأمريكي» الذي يُحسب أنَّه أبرز مجتمع حداثي وصناعي وعلماني، كما أنه مجتمع المعرفة والعلم بامتياز، لكن مع كل ذلك فإن الدين يحضر فيه بشكل كبير جدًّا ويخترق كل المستويات والأنساق، وهو ما يفند افتراضات أطروحة انسحاب الدين

يحاجج بعض علماء الاجتماع، بأن أطروحة العلمنة وانسحاب الدين من العالم الراهن، مجرد موقف متجاوز يفتقر إلى الدقة العلميّة والواقعية (مثل بيتر بيرغر.1999 وخوسيه كازانوفا.1994)، ويستدلون على ذلك بـ«المجتمع الأمريكي» الذي يعتبر أبرز مجتمع حداثي وصناعي وعلماني، كما أنه مجتمع المعرفة والعلم بامتياز، لكن مع كل ذلك فإن الدين يحضر فيه بشكل كبير جدا ويخترق كل المستويات والأنساق، وهو ما يفند افتراضات أطروحة انسحاب الدين من العالم المعاصر، المتضمنة في نظرية العلمنة السوسيولوجية وليس السياسية

من العالم المعاصر، المتضمنة في نظرية العلمنة السوسيولوجية وليس السياسية.

أكثر من ذلك فإن مع حلول عقد الثمانينات من القرن الماضي، اجتاحت العالم طفرة دينية كبيرة كما أن استمراريتها لا يمكن التغاضي عنها في القرن الحالي، حيث لوحظت عودة محمومة إلى الأديان والروحانيات، إذ كان ذلك هو الظاهرة الأكثر بروزًا في هذه الفترة، وهو ما لمسه كبار علماء الاجتماع (Danielle H.Léger .2004).

وفي سياق هذا الحدث غير المتوقع من طرف علماء الاجتماع الذين كانوا يظنون أن العالم كلما تقدم كلما ابتعد عن الدين بخاصّة في صيغته التاريخية، سوف يحدث انقلاب في مواقف وتحليلات هؤلاء العلماء بشأن الظاهرة الدينية، حيث بدأ منذ ذلك الحين طرح مفاهيم جديدة تواكب ما عرفه العالم في الثمانينات من القرن الماضي، مثل مفهوم «العودة» إلى الدين أو «الاتصال» بالدين عوض الانفصال عنه، وهو ما فرض تبني براديغم جديد، اصطلح على تسميته بـ«عودة السحر إلى العالم»، عوض «نزع السحر عنه»، ما يعني أن أطروحة انسحاب الدين قد تلقت مجموعة من الانتقادات وهو ما دفع عدد غير قليل من علماء الاجتماع إلى التخلي عن أهم مقولاتها دون تطليقها كليًا.

بيد أن هذه العودة إلى المقدس لا يجب أن تفهم على أنها عودة في ثوب تاريخي، فعودة الدين في زمن الحداثة لا يتطابق مع شكله المُعتقد والمُمارس في زمن ما قبل الحداثة، إذ إن العودة في زمن الحداثة تختضب بما هو دنيوي (أي علماني)، وذلك ما يتجسد في مجموعة من الأنساق أهمها نسق السياسة وحقل المعرفة.

فمع كل هذا، فإن ذلك لا يعني أن هذه الأطروحة (انسحاب الدين من العالم) فاشلة في تفسير شبكة العلاقات بين الدين والعالم الراهن، فلو عدنا لأبعاد الدين سوف نجد أن هذا الأخير يتضمن «بعدًا معرفيًا» (يخبر بماهية ومآل العالم)، و«بَعدًا تنظيميًّا سياسيًّا» (حسب التجربة التاريخية لبعض الأديان، بخاصّة التوحيدية)، وكذا

«بُعدَا روحيًا» يتجسد في أماني وطريقة نظر المؤمن للعالم والحياة وما بعد الحياة (ميرتشيا إلياده.2007.مترجم).

فلو بحثنا جيّدًا، كما تقول المقالة، بمنهج تاريخي مقارن، سوف نجد أن البعدين الأولين للدين (المعرفي والتنظيمي) فَقَدا قدرًا مهمًا من قدرتهما التأثيرية على العالم المعاصر، على ذلك يبني «مارسيل غوشيه» نموذجه التفسيري القائل بانسحاب الدين من العالم المعاصر، حيث أن الديموقراطية العلمانية قوّضت البعد التنظيمي في الدين (ما.غوشيه. 2007)، ومن جهة أخرى تسببت «الثورة العلميّة» في تراجع المنظور الديني للطبيعة والعالم المادي، وهو ما أضعف تأثير الدين على التفكير العلميّ ومناهج تفسير العالم المادي، وبه يظهر بشكل واضح أن الدين يشهد تراجعًا في هذين البعدين بسبب مناهج التسييس المعاصرة ومناهج البحث العلميّ التي بدأت تتبلور في شخص براديغم ينآى بعيدًا عن كل هاجس أو إيمان ميتافيزيقي.

علماء الاجتماع الذين كانوا يظنون أن العالم كلما تقدم كلما ابتعد عن الدين خصوصاً في صيغته التاريخية، سوف يحدث انقلاب في مواقف وتحليلات هؤلاء العلماء بشأن الظاهرة الدينية، حيث بدأ منذ ذلك الحين طرح مفاهيم جديدة تواكب ما عرفه العالم في الثمانينات من القرن الماضي، مثل مفهوم «العودة» إلى الدين أو «الاتصال» بالدين عوض الانفصال عنه، وهو ما فرض تبني براديغم جديد، اصطلح على تسميته بـ«عودة السحر إلى العالم، عوض «نزع السحر عنه»، ما يعني أن أطروحة انسحاب الدين قد تلقت مجموعة من الانتقادات وهو ما دفع عدد غير قليل من علماء الاجتماع إلى التخلي عن أهم مقولاتها دون تطليقها كليا

فإن العلم بخاصّة منذ «أوجيست كونت» نكص عن اتخاذ الدين كأساس لتحصيل المعرفة حول العالم، ومنذ ذلك الحين أصبح العلم بمناهجه التجريبية الوضعية التي لا تتعاطى إلا ما هو مادي، هو السبيل الوحيد بالنسبة للإنسان الحداثي لفهم العالم

في ابتعاد كلي عن مقولات الأديان، وفي نفس السياق ومنذ القرن 19م سوف تنحو مجموعة من دول العالم إلى تأسيس حقل سياسي خارج إطار الدين (الدولة المدنية العلمانية)، وهو ما ساد معظم دول العالم، وذات الشيء كذلك ما ابتعد عن منهج الأديان في التسييس والحكم، وهو ما قوض فاعليتها من هذين الجانبين.

من ذلك، فإن أطروحة انسحاب الدين تظهر بشكل أكبر في الحقل السياسي والعلميّ حيث الدين منسحب تمامًا إلا على صعيد المجال الخاص طبعًا. من جانب آخر، يظهر أن الدين لا زال يتحفظ بأحد أهم أبعاده وهو البعد الأكثر تكيفًا مع العالم الحديث، وهو «البعد الروحيّ» الذي لا يلزم إلا المؤمن به، فمع تميّز عصر الحداثة بالحريات الفردية وانقراض آيديولوجية تجميع الناس في أطر فكرية ودينية موحّدة الذي كان ضرورية للحكم التوتاليتاري، أصبح الإنسان الحديث في الدول الديموقراطية العلمانية أكثر تحرّرًا من الناحية الدينية والفكرية، حيث لا يلزم بأي دين، بل يختار دينه وأفكاره بإرادته الحرة، وهو ما يتوافق مع البعد الروحيّ للأديان السائدة في المجتمعات الحداثية، حيث تقتضي الدولة العلمانية بالضرورية «التعددية» سواء أكانت دينية أو سياسية أو فكرية أو غيرها.

أطروحة غوشيه يبدو أنها تنطبق على بعض المجتمعات الغربيّة فقط الذي تحقق

«أوجيست كونت» نكص عن اتخاذ الدين كأساس لتحصيل المعرفة حول العالم، ومنذ ذلك الحين أصبح العلم بمناهجه التجريبية الوضعية التي لا تتعاطى إلا ما هو مادي، هو السبيل الوحيد بالنسبة للإنسان الحداثي لفهم العالم في ابتعاد كلي عن مقولات الأديان، وفي نفس السياق ومنذ القرن 19م سوف تنحو مجموعة من دول العالم إلى تأسيس حقل سياسي خارج إطار الدين (الدولة المدنية العلمانية)، وهو ما ساد معظم دول العالم، وذات الشيء كذلك ما ابتعد عن منهج الأديان في التسييس والحكم، وهو ما قوض فاعليتها من هذين الجانبي

فيها «سقف التاريخ»، أي تلك المجتمعات التي عرفت سيرورة تمايز وتفاضل في حقولها وأنساقها الاجتماعية وبالتالي فهي لا تفرض الأفكار والأديان على الناس، بل يختار المواطنون أديانهم وأفكارهم بكل حرية والدولة تحترم هذا الاختيار بل تحرس ممارسته من طرف المؤمن به، ولعل هنا أحد المفارقات التي لم ينتبه لها علماء الاجتماع الكلاسيكيين الذين رأوا أن تطور العلمانية في المجتمعات الحديثة يعني تراجع الدين، بل بالعكس وكما يؤكد معظم السوسيولوجيين في العقود المتأخرة، فإن العلمانية في المجتمعات الغربيّة تُحسب أحد أهم العوامل التي ساهمت في انتعاش الدين واستمراريته وليس العكس (Markus Dressler and Arvind.pal Maindair 2001.).

بناءً على ذلك، يمكن القول بأن الأديان في العالم الحديث لم تلفظ آخر أنفاسها، بخاصَّة بما كان يعتقد أنه سلاح يدفعها إلى الانقراض (كالعلمانية)، فرغم تآكل أدوار الأديان السياسية والمعرفية في بعض مجتمعات العالم، فإن أوارها يشتد ويتقوى في بعض المجتمعات بخاصّة التي تتوسل الدين كمشرع للسلطة السياسية، وهو ما يضع أمام أطروحة غوشيه أكثر من علامة استفهام، فلا يمكن التعميم كلّيًا بأن الدين يحتضر ويستهل رحلة الانسحاب من العالم، فلا تظهر أي قرائن مؤكدة لهذا الافتراض في بعض المجتمعات (التي ربما هي الأكثرية).

غير أن أطروحة م.غوشيه يبدو أنها تنطبق على بعض المجتمعات الغربيّة فقط الذي تحقق فيها «سقف التاريخ» حسب تعبير «عبد الله العروي»، أي تلك المجتمعات التي عرفت سيرورة تمايز وتفاضل في حقولها وأنساقها الاجتماعية، وفصلت الديني عن السياسي، وتبنت الديموقراطية، وطورت ثقافاتها على أسس علميّة وقيم كونية وفق منظور منفتح، وهو ما زعزع أركان عناصر الثقافة التقليدية لهذه المجتمعات، الذي يعتبر الدين أوضح وجوهها، ذلك ما أعاد صياغة الدين حسب ثقافة الحداثة

(السياسية والحقوقية والفكرية)، فالأمر كما يلاحظ «أوليفييه روا» لا يتعلق بانسحاب الدين كلّيًا وإنما بتغيير أشكال حضوره في العالم الحديث.

عليه، فإنّ لكلا المنظورين قيمته التفسيرية المنطبعة بـ«النسبية»، فلا أطروحة انسحاب الدين والعلمنة تُفسّر كليًا علاقة المقدس والدنيوي المعاصر، وكذا فإن أطروحة استمرار الدين كقوة تأثيرية في المجتمعات المعاصرة، لا تفسر بشكل دقيق أشكال استمراريته وديناميات حضوره في مجتمعات العالم الحديث، وهو ما يفرض تطوير منظورات سوسيولوجيا الأديان لاستيعاب هذه الظواهر فهمًا وتفسيرًا.

9. الحرّة

هل ثمة هوية «مشرقية»؟[1]

يقول حسن منيمنة إنّه ليس ثمة «عروبة» عضويَّة موضوعيَّة، لأنّ كل «عروبة»، كما كل انتماء جامع، هي تعبير عن قراءة خاصة محلّية تنسجمُ مع الحاجةِ إلى تعزيز الموقع إزاء الآخر الداخلي والآخر الخارجيّ، فالميل، بحسب منيمنة، لدى البعض، هو في طرح الهوية «المشرقية» كبديل أو نقيض للهوية «العربية»، في لبنان وسوريا ابتداءً، ثم فيما يتعداهما لدى بعض جوارهما، الأردن وفلسطين، والعراق بقدر من التكلف.

الإشكالية، بحسب منيمنة، في الواقع ليست في مضمون الهوية، بل في استعمالاتها السّجالية، والسّعي إلى تقديمها كبديل لفظي لهوية «مسيحية» متشكّلة، على تضاد مع الهوية «العربية»، بما يشبه الاستعمالات السابقة للهوية «القومية العربية» كغطاء للانتماء الإسلامي، الفئوي الطائفي الجماعاتي قبل الديني، واللجوء المقابل إلى اعتناق «القومية اللبنانية» للتّورية عن هوية «مسيّحية» في لبنان، مجدداً بالمعنى الطائفي قبل الدّيني

الإشكالية، بحسب منيمنة، في الواقع ليست في مضمون الهوية، بل في استعمالاتها السّجالية، والسّعي إلى تقديمها كبديل لفظي لهوية «مسيحية» متشكّلة، على تضاد مع الهوية «العربية»، بما يشبه الاستعمالات السابقة للهوية «القومية العربية» كغطاء للانتماء الإسلامي، الفئوي الطائفي الجماعاتي قبل الديني، واللجوء المقابل إلى اعتناق «القومية اللبنانية» للتّورية عن هوية «مسيّحية» في لبنان، مجدّدًا بالمعنى الطائفي قبل الدّيني.

(1) **موقع الحرَّة**، هل ثمة هوية «مشرقية»، حسن منيمنة، 2021/4/14.

المراد قد يكون بالتالي استقدام الهوية «المشرقية» كواحدة من الهويات «ما بعد العربية»، والتي شهدت خروجًا صريحًا عن «العروبة» في مواضع عدة، وحالات الخروج هذه لم تمتثل لإطار واحد، بل اتخذت أشكالًا متباينة، على أنّ مرحلة ما بعد «العروبة» لا تقتصر على الجلي من حالات مقاومة التسطيح في الهوية، كما في كردستان العراق، بل تكاد أن تشمل كامل الفضاء المكاني الذي كان قد توسع منظرو العروبة في أواسط القرن العشرين في تصويره «وطنًا عربيًا».

شهدت المنطقة المغربيَّة بروزَ الطرح «الأمازيغي»، الذي يحاكي في العديد من أوجه أساليبه وتصوراته وخطابه واختزالاته غريمه العروبي، سواءً في فرزه المجتمع الوطني إلى واحد طارئ وآخر أصيل، أو في سعيه إلى تجاوز الإطار الوطني إلى آخر أكبر منه، أو في إعادة صياغته للتاريخ لإضفاء قناعاته عليه، أو في توجهاته اللّغوية التي تريد أن تكون تمكينًا للمقموع فيما هي بدورها سلطانية. ولكن، بغض النظر عن أوجه الإفراط هذه، فإن الطرح الأمازيغي قد حقّق نجاحًا وتمكن من تبديد التوجهات العروبية «التأحيدية» ووضع الهوية العربية نفسها في موقع الدفاع والتحفظ.

عند الطرف الآخر من الفضاء «العربي»، يبرز نجاح آخر، وإن كان أقل وضوحاً، وهو في تشكيل الهوية «الخليجية» وتثبيتها، وإن كان المسمّى الذاتي لهذه الهوية لا يعتمد «الخليجية» كاسم بل كصفة ضمنية. في دول الخليج، اتفق حكامها أم اختلفوا، البعد الوطني للهوية قد تأصّل وغلب، ولكن التدرج إلى ما يتعداه، يستقر لدى الأكثرية عند المستوى «الخليجي»، إذ يجري تأطيره على أنه الأصالة العربية بذاتها. هي «أصالة» على أي حال مانعة، يكاد «العرب» غير الخليجيين فيها أن يصنّفوا «مستعربين».

ذوبان «العروبة» تشمل كامل ديار سلطنتها السابقة.

يذهب منيمنة إلى أنّ عروبة مصر كانت دومًا مصريّة أوّلًا من حيث المضمون، مهما بالغ البيان السياسي في مراحل ماضية بزعم خلافه، بل من النادر استشفاف

قراءات مصرية على مدى العقود تفترض اشتقاق الهوية المصرية من العروبة. العكس هو الصحيح، حيث السائد هو أن العروبة، والتي ارتدتها مصر مع اعتناقها الإسلام، هي أوّلًا وسيلة لتحقيق الصدارة التي تستحقها مصر في جوارها وفي العالم أجمع. مصر لم تكن بالتالي بحاجة إلى تأليف هوية «ما بعد عربية»، فالصفة «العربية» كانت، وإلى حد ما لا تزال، رداءً لمصر، لا جوهرًا لها. أما مسألة تصالح مصر مع تاريخها وحضارتها فشأن آخر، على أن الاستعراض المسرحي، كما في نقل مومياءات الفراعنة، ليس هو هذا التصالح.

وهكذا فلكل من العراق (خارج كردستان) والسودان خصوصيته بما يجعله يحاكي التجربة المصرية، وإن بكم أكبر من الإبهام لافتقاد كل من السياقين للوحدة التاريخية التي تلازم مصر.

المفارقة، كما يرى منمينة، تحدث حين تقدّم الهوية «المشرقية» كبديل وخصم للهوية «العربية»، هي أن الهوية «العربية» هي بحد ذاتها الصيغة الأولى للهوية «المشرقية». أي أن رسم المعالم الاجتماعية والتاريخية والحضارية واللغوية، والذي أفضى إلى إنتاج القومية العربية برمّتها، وأتاح لها الانتقال من مسقط رأسها إلى شواطئ المحيط والخليج بأشكال مختلفة، كان مجهوداً مشرقياً يسعى إلى تبيّن الهوية الذاتية المشرقية فيما يتجاوز الاختراقات التي تعرّضت لها، والطمس الذي طالها نتيجة غلبة الانتماءات الدينية الوافدة

أما الحالة «المشرقية»، فهي الغارقة في الالتباس، رغم وفرة المقومات الحضارية والتاريخية لهوية مشرقية واضحة، بل الواقع هو أنه قد جرى طرح هوية مشرقية، بالصيغة الحازمة، مرتين خلال القرنين الماضيين، وإن شاب كل طرح من الشوائب ما أفقدها زخمها.

المفارقة، كما يرى منمينة، تحدث حين تقدّم الهوية «المشرقية» كبديل وخصم للهوية «العربية»، هي أن الهوية «العربية» هي بحد ذاتها الصيغة الأولى للهوية «المشرقية». أي أن رسم المعالم الاجتماعية والتاريخية والحضارية واللغوية، والذي

أفضى إلى إنتاج القومية العربية برمّتها، وأتاح لها الانتقال من مسقط رأسها إلى شواطئ المحيط والخليج بأشكال مختلفة، كان مجهودًا مشرقيًا يسعى إلى تبيّن الهوية الذاتية المشرقية فيما يتجاوز الاختراقات التي تعرّضت لها، والطمس الذي طالها نتيجة غلبة الانتماءات الدينية الوافدة.

تَلَقّي الأوساط الاجتماعية والفكرية المختلفة، خارج المشرق، للهوية «العربية» (المشرقية) أعاد ترتيبَ مقوماتها وأهمل في العديد من الأحيان ما كان أساسيًّا فيها، وأضاف إليها، قصدًا أو عَرَضًا، ما كانت الصيغة الأولى قد سعت إلى تفنيده، ثم ردّها إلى الوسط المشرقي بما يشابه نقيض الإصدار الأول، ليجري توظيفها، فيه كما خارجه، لأغراض تختلف باختلاف العامل والزمان والمكان.

ليس ثمة «عروبة» عضوية موضوعية. كل «عروبة»، كما كل انتماء جامع، هي تعبير عن قراءة خاصة محلية تنسجم مع الحاجة إلى تعزيز المواقع إزاء الآخر الداخلي والآخر الخارج، وربما أراد «المشرقيون» الأوائل، في القرن التاسع عشر، التوفيق بين إرث المشرق وعظمة مصر، إذ تشترك مع مشرقهم بلسانه العربي، فكان الرابط اللغوي أساس الهوية المتشكلة، قبل أن تبرز أوجه أخرى وفق الحاجة الوظيفية في سائر أماكن انتشار هذه الهوية: ديني اجتماعي في المغارب، نَسَبي في الجزيرة العربية، عرقي في العراق والسودان.

إذ تشكّلت العروبة كانتفاخ سلطاني للهوية المشرقية في إصدارها الأول، جاء الإصدار الثاني لهذه الهوية في النصف الأول من القرن الماضي بشكل «القومية السورية»، والتي نادى بها أنطون سعادة، في استعادة للتأكيد على الخصوصية المشرقية. «السوريون» وفق تعبيره «أمة تامة». في البرازيل، كان يطلق على المهاجرين المشرقيين إلى العالم الجديد، في مرحلة أولى، اسم «توركو»، لقدومهم من الولايات العثمانية «التركية». ثم أصبحوا «سوريين» في زمن الانتداب (قبل أن يتميز اللبنانيون

منهم باسمهم الوطني، ثم يعمد من يفضّل التنصل من خلفيته اللبنانية السورية التركية هذه إلى التبجح بـ «فينيقيته»).

أنطون سعادة، المهاجر العائد مع الانتداب، رسا مع البرازيليين على تسمية المشرق بسوريا، على أنّ مسعاه إلى التميّز جاء مقرونًا برغبة بالتوسّع، فرسم حدودًا خيالية للأمّة السّورية المفترضة تجمل بلاد الشام برمتها طبعًا، وتضمّ العراق والكويت وقبرص وسيناء وأجزاء من تركيا.

فإذا كانت الهوية المشرقية الأولى المبنية على اللغة قد تعرّضت نتيجة انفتاحها للتجيير والتبديل، فإن الهوية المشرقية الثانية، «القومية السورية»، قد حوت متناقضات عدّة أوهنت من إمكانية نموّها وتأصّلها؛ هي كانت ملاصِقَة لشخصِ مؤسّسها ولرؤيته السياسية التّشذيبيّة، ولنتاجِه الفكري المتنقل من الإبداع إلى التعسّف، ولإعجابه بالمنحى القيادي الفاشي. هو الزعيم، القائد الأعلى للحزب ومصدر السلطتين التشريعية والتنفيذية. لم تتمكن هذه الهوية من تجاوز الهامش، رغم أنها أنجَزَت، في صفوف مؤيديها، تحقيقَ قناعة غلبة الانتماء «القومي» على التوجه الدّيني، فكانت تشظيات الحزب السّوري القومي الاجتماعي، رغم ولاءاتها المشبوهة والأهواء التي تتنازعها، إحدى التجليات القليلة للقناعات العلمانية في المنطقة.

ولا يمكن، كما يقول منيمنة، وصفُ شدِّ العصب الطائفي خلف قناع «المشرقية»، والذي يخرج إلى العلن أحيانًا اليوم، على أنّه صيغة ثالثة للهوية المشرقية. ولكنه يشير إلى أن طاقة كامنة لهذه الهوية تستدعي النظر بجدواها لتأطير الواقع وإيجاد سبل تنفيس الاحتقانات والصراعات. في هذا السعي إلى استصدار تلقائي، خارج الأطر الصارمة، لهوية مشرقية متجددة، قد يكون من المفيد اعتبار وجهين من الخلاصات المتبينة من الإصدارين السابقين، كما من تجارب هويات «ما بعد العروبة» على مدى الفضاء العربي.

الوجه الأول، في الطارئ والأصيل. لا بأس بالتذكير بأن الإسلام، وهو الدين الذي ظهر في القرن السابع الميلادي، هو بالفعل «طارئ»، أي حديث العهد عند اعتبار الألفيات العديدة من تاريخ المنطقة، وأن غلبته على المشرق لم تكن شهر عسل دائم. ولكن، بالمقابل، لا بدّ من التذكير كذلك بأنّ المسيحيّة بدورها لم تستتِب في المشرق كدعوة محلية تَسَارَع إليها الملأ، بل إن غلبتها تحققت بفعل القهر بعد اعتمادها من القياصرة، وإنّ أهلَ البلاد، من عامة الناس إلى المفكرين والكتاب والحكماء قد قاوموا فرضها، فقُتلوا ودمرت معابدهم وأحرقت كتبهم، وكانت القطيعة مع السلف الأول.

ليس مَن مِن شأنه زعم حصرية «الإصالة» ورمي الآخر بالطارئ، فمشرقيو اليوم، على اختلاف هويّاتهم الذاتية، وطنية وطائفية، هم أحفادُ مشرقيّي الأمسِ البعيد لهم بالطبع، إن طاب لهم، التمسك الوثيق بدينهم، إسلامًا ومسيحية ويهودية وغيرها، ولكن ما لا يسعهم تجاوزه هو أنّ حضور سلفهم، ماديًا ومعنويًا، سابق لما اعتنقه بعض آبائهم من أديان. كتبهم الدينية تخبرهم بخلاف ذلك، وتقصر أخبار القرون الأولى على آدم ونوح وإبراهيم. هؤلاء، وسائر القصص الديني، في الواقع والوقائع، غائبون عن السجّل المدوّن في الأرض نفسها، وفي النصوص والوثائق التي تشكل الذاكرة المطموسة لأهل هذه الأرض. ربما أن الأوان قد حان لأن نتذكر السلف.

الوجه الثاني، في التفرد والتمازج. تعود الصعوبة في الإصدارين السابقين للهوية المشرقية، أي في تفريط الأولى بالخصوصية المشرقية، وإفراط الثانية فيها دون جدوى، إلى أنّه لا خصوصية قطعية متحققة للمشرق في تركيبته السكانية. بل المشرق أرض اللقاء، متاخم للعراق وإيران، ومنهما، كما تشير دراسات الخلفية النسلية، جاء عديد الفلاحين الأوائل إليه ليجعلوا منه وجواره هلالًا خصيبًا. هو ملاصق للجزيرة العربية، والتي كانت على مدار التاريخ قلبًا نابضًا يضخّ الهجرات والغزوات له وغيره. والمشرق كذلك متواصل دومًا ودائمًا، عبر البر والبحر، مع اليونان ومن تستوعبه، وحاضن في

صلبه للأرمن، ومستقبِل لمصر والمغارب وسائر العالم المتوسطي.

يختم منيمنة بالقول، إنّ الإصدار الثالث للهوية المشرقية ليس في طور الإعداد والتحقق اليوم. استعمال الكلمة يتكرر بالحسن والسوء، ولكن دون قدرة على الاستقطاب. وإلى أن تتشكل رؤية تجنب الكلمة والمفهوم الأبعاد الإقصائية الفئوية، ربما أنه في هذا الغياب قدر من الإيجابية.

10. الشرق الأوسط

قراءة الفلسفة في زمن «تويتر»[1]
حضور غير مسبوق لنصوص كلاسيكية في الفضاء العام

ترى ندى حطيط أنّ قراءة الفلسفة في أيامنا ليست بالمتناول القريب، بعدما انعزلت في أبراجها الأكاديمية العاجيّة، وصارت تتطلب حدوداً دنيا من التجهيز والتثقيف المتخصّص قبل أن تُشرع أبوابها أمام محبّي الحكمة لعبور النصوص الفلسفية، لا سيما كلاسيكياتها. ومن ذلك التجهيز معرفة بربط الأسباب إلى الاستنتاجات، وتتبع التغيرات في الطرح عبر رحلة الكاتب الفكرية، وفهم الفروق الدقيقة بين استخدام الكلمات ومعانيها في العصور المتتابعة، كما مآزق ترجمة المصطلحات الفلسفية بين اللّغات، والاطلاع على تقييم الحجج والمفاهيم من المناهضين للكاتب قبل إشادات الأتباع.

إن مسحًا على مواقع التواصل الاجتماعي اليوم يظهر تزايدًا غير مسبوق لناحية حضور النصوص الفلسفية في الفضاء العام، وانتشارًا متصاعد الوتيرة لترجمة مقالات قصيرة من أعمال الفلاسفة الكبار، وعرضها عبر «فيسبوك» أو «تويتر»، كما تضخمت مشاركة الأصدقاء بمقاطع فكر فلسفي مبهرة، بصفتها وسيلة لبناء ذواتنا المفتعلة وحضورنا المتخيل على الإنترنت.

لكن الحقيقة أن ذلك الحضور ليس بمدعاة للاحتفال بتوسع قاعدة جمهور الفلسفة بقدر ما يجب أن يكون مصدراً للقلق من سوء فهم مقاصد الفلاسفة، وتشوه أفكارهم واختزالها أو توظيفها في ما لا تحتمل خارج سياقها وبيئتها. وهذا القلق مبرر من زاوية أنها، بخلاف الشعر أو الأدب أو أخبار العالم المادي، تتطلب بالضرورة اتخاذ موقف

(1) **الشرق الأوسط**، قراءة الفلسفة في زمن «تويتر»حضور غير مسبوق لنصوص كلاسيكية في الفضاء العام، 2021/2/24.

حول شأن أو آخر من شؤون الحياة، فيما يمكن تناول القصائد وقراءة الروايات والاطلاع على آخر الأنباء لمجرد الفضول أو إزجاء الوقت أو المتعة الشخصية.

لا يوجد في الفلسفة، كما ترى حطيط، شيء كالقراءة الحرة بلا شروط. القراءة فلسفيًا تتطلب تحديدًا للتوجه، بمعنى أن تُؤتى النصوص من وجهة نظر محددة، بصفة فيلسوف مثلًا أو مؤرخ أو رسام أو صحافي أو رجل أعمال، إذ إن هنالك طرقًا مختلفة من الكتابة داخل كل مجال فلسفي، فيما لا توجد طريقة أحادية للقراءة. فهناك كتابة جدلية في الدفاع عن أطروحة معينة أو نفيها، فيما يقترب آخرون من المساحة المشتركة مع النقد الأدبي، فيطرحون تصورات ومفاهيم ذاتية حول المسائل دون تقديم استدلالات منطقية صارمة، ويكتب آخرون بصرامة الرياضيات ومعادلات الفيزياء، وهكذا.

إن مسحًا على مواقع التواصل الاجتماعي اليوم يظهر تزايدًا غير مسبوق لناحية حضور النصوص الفلسفية في الفضاء العام، وانتشارًا متصاعد الوتيرة لترجمة مقالات قصيرة من أعمال الفلاسفة الكبار، وعرضها عبر «فيسبوك» أو «تويتر»، كما تضخمت مشاركة الأصدقاء بمقاطع فكر فلسفي مبهرة، بصفتها وسيلة لبناء ذواتنا المفتعلة وحضورنا المتخيل على الإنترنت

ولعل الأمر المهم الآخر، كما ترى حطيط، هو تحديد الهدف من وراء ارتياد النّصوص الفلسفيّة، إذ إن الأسئلة موضع العمل، كـ«ماهية الوجود» و«معنى العدالة» و«إمكان المعرفة»، تتطلب ممارسة قد تكون مزعجة لتقصّي الحقائق دون افتراضات مسبقة، وهي كثيرًا ما تشكك في معارفنا القديمة، دون القدرة على تقديم إجابات شافية، وتحتاج التزامًا من قارئها لتقبل استنتاجات تتعارض بشكل جذري أحيانًا مع القيم ومنظومة الأخلاق السائدة في إطار ثقافة محلية ما. وهذا القطع الفلسفي صعب بما فيه الكفاية، إذ قد لا يمتلك القارئ عدة ثقافية

ومفاهيمية تحكم قبوله للقيم والأفكار الجديدة، ومن الخطورة بمكان تبنيه لها دون فهم دقيق لا يتوفر عادة في الترجمات المبتذلة والنصوص المجتزأة، ودون استيعاب موضع النص الفلسفي في سياقه الكلي، سواء تاريخيًا أو في إطار تطوره مع المفكر المحدد أو المدرسة المعينة.

ومع أن المحاذير كثيرة، فبعضهم يصر على قراءة مواد فلسفية دون إعداد مسبق أو توجه محدد. ولهؤلاء ربما يكون لا مناص أمامهم من محاولة القبض على المسرح الكلي للنص، عبر إجراء بحث سريع على موسوعات الفلسفة السيبيرية عن مؤلفه، والمدرسة الفلسفية التي عمل (أو يعمل) في إطارها، وغايات النص، والانتقادات التي تعرض لها، كما التقاط بعض التضاريس المفاهيمية واللغوية والمصطلحات التي يعتمد عليها لتقديم أطروحته. وعند تولي النص ذاته، فمن الضرورة -كما يعلم تلاميذ الفلسفة- تتبع هيكل وصوت الحجة فيه. فالكتابات الفلسفية تتوصل عادة لاستنتاجات قد تتأخر في الظهور حتى الجزء الختامي من المقال، وغالبًا ما تتضمن عدة نقاط تُجادل مفاهيم ونصوصًا أخرى، ولذا لزم ملاحظة التغيير في صوت الكاتب، والانتباه إلى تلك التحولات القصيرة المتضمنة في النص للحديث عن أفكار الآخرين، مثل «قد يجادل بعضهم بأن هذه الفكرة...» وما يعادلها، ومتابعة فوق العادة لعلامات الترقيم وترابط الفقرات.

والواقع أن النصوص الفلسفية لا تخلو غالبًا من مقاطع شائكة قد تدفع بغير المتخصص لتجاوزها إلى ما بعدها دون تحقق. لكن القراءة في الفلسفة تتطلب تقدمًا متمهلًا، وربما شديد التمحيص لبعض الأجزاء، أو محاولة البحث عن معنى لها في قاموس أو موسوعة مناسبة. ولعل أفضل ما ينصح به الخبراء هنا رفقة ورقة وقلم، وتدوين فقرات أو جمل من المجادلة المركزية، للاحتفاظ بالسيطرة على مسار تقدم الفكرة. ولتكتمل الفائدة (والمتعة العقلية)، ربما يتعين كتابة ملخص مختصر

تمامًا لالتقاط محض استيعاب المتلقي الخاص للانتقالات الجدلية الرئيسية، وربما العودة إليه خلال أيام تالية، كي لا تتسرب الأفكار والاستنتاجات من الذهن، كما يحدث لمعظم المعلومات التي يتلقاها العقل البشري في أثناء ممارسة الحياة اليومية -تشير تجارب عالم النفس الألماني هيرمان إبنهاوس إلى فقدان 50 في المائة من المعلومات التي تمر بنا يوميًا خلال 24 ساعة، وأكثر من 90 في المائة خلال 21 يومًا، ما لم يبذل المرء جهوداً إضافية لامتلاك أفكار المقال أو المحاضرة مثلًا.

عادة ما تفتح النصوص الفلسفية نوافذ على أفكار أخرى متوازية أو متناقضة، وكذلك قد تشير إلى مفاهيم ومصطلحات جديدة أو موضوعة في سياق مغاير، وهو ما يفتح الأفق أمام القارئ للنفاذ من النص الذي بين يديه إلى عوالم فكرية تثير شهيته لمزيد من المعرفة. وحتى لو التقط مفتاحًا واحدًا أو اثنين فقط من كل مقال وبحث فيهما، لبنى تدريجيًا تراكمًا معرفيًا حول المسألة موضع عنايته وبحثه، على نحو يمنحه قدرة نقدية أفعل للتعاطي مع النصوص المستقبلية.

وتتيح مصادر المعرفة الجديدة على متن الأنترنت فرصًا نادرة للاستزادة حول موضوع النص، وذلك عبر مشاهدة محاضرات أو مجادلات حولها، ومنها كثير يلقيه أساتذة بارزون في تخصصاتهم كان يستحيل الاستفادة منهم تقريبًا قبل عقدين، وأصبحوا الآن قريبين على شاشات أجهزة حواسيبنا أو هواتفنا المحمولة. وهناك كذلك كثير من مواقع البث المسموع (البودكاستس) وجماعات النقاش الفلسفي المعولمة الطابع التي نقلت أعمالها بالكامل في ظل الجائحة الحالية إلى الفضاء الافتراضي، والتي تلقي بالضوء على جوانب معينة ونصوص محددة من التراث الفلسفي المتراكم.

لكن بالطبع لا شيء يغني في النهاية عن التدبر في المادة المقروءة، وأي معنى لها فيما قبلنا منها، مقابل معتقدات سابقة أو خبرة معيشة أو تاريخية، وربما محاولة لعب دور مؤلف النص عند إسقاط أفكاره على واقعنا، والدفاع عنها بحججه ومنهجيته

في التفكير. ومن ثم، تكوين رأي خاص بشأنه يمكن تدوينه على صفحتك على مواقع التواصل الاجتماعي أو طرحه خلال جدالات آتية.

كل هذي المحاذير بما خص ممارسة القراءة الفلسفية قد لا تُعين كثيرًا في اختيار المادة نفسها. ومن دون خبرة موجهٍ متمرسٍ يشير إلى نصوص معينة -غالبًا ما تناسب مزاجه الفكري، وليس بالضرورة مزاج المتلقي- فإن الفلاسفة يقولون إن على المرء أن يقرأ ما يثير اهتمامه، وليستكشف بعدها الصحراء بنفسه رويدًا رويدًا، فربما ينتهي في مربع قضية فكرية ما، أو شَباك عقل مبدع، أو حتى فضاء مدرسة فكرية معينة؛ وأي من ذلك كله أمر محمود ما دام يعيننا على الارتقاء بحياتنا وعلاقاتنا بالعالم من حولنا.

11. مؤمنون بلا حدود

الفيلسوف ورجل الدين[1] لريجيس دوبريه

يشرح مترجم الكتاب عبد القادر ملّوك[2] أنّ الفيلسوف الفرنسي ريجيس دوبريه انهجسَ منذ بداياته الأولى في التأليف، بالتنظير والتقعيد للوسائطيات باعتبارها دراسة لمختلف أشكال الوسائط التي يعتمدها البشر في تعاملاتهم واتصالاتهم الحياتية، وقد بذل في ذلك جهدًا جهيدًا، نصَّبه رائدَ هذا المبحث ومؤسسه الرئيس بإجماع الباحثين.

واللافت في الأمر أن دوبريه لم يكتفِ بالتصدي للوسائطية في العالم المنظور وحده، بل جعلها تمتد لتشمل العالم غير المنظور، العالم الآخر بكل عناصره ومقوماته، كاشفًا النقاب عن صلة الإنسان بالإلهي، وتجلّياتها في الديانات التوحيدية كما في غيرها من أشكال التديّن والتعبّد الأخرى، معتبرًا إياها جميعًا ظواهر في حاجة ماسة إلى تحليل « ميديولوجي»[3] ، يفحص الأفكار الدينية، والأسناد التقنية التي توظفها لبث رسائلها، فضلا عن المؤسسات التي تُنَصِّب نفسها قَيِّمَة على الشأن الديني.

وسّع دوبريه مجال بحثه دافعًا بمنهجه إلى أقصى مداه، ليتأتى له الكشف عن أساسيات الإنسان المتديّن في الغرب كما في مناطق أخرى، بصرف النظر عما إذا كان هذا الإنسان يعبد إلهًا واحدًا، أو ألفًا، أو لا أحد. وهو في هذا السِّفر، الذي اقتطفَ منه ملّوك هذه الترجمة المقتضبة «النار المقدسة، وظائف الديني» الذي يرصد فيه تجليات وتبعات «النار المقدسة» التي كانت ولا تزال وستظل باقية، بتقلباتها وتناقضاتها، في قلب المدينة ما بقي الإنسان في الوجود، كما يقف بدقة على مجمل

(1) 1 Régis Debray, «le philosophe et le religieux», dans: Le feu sacré, fonctions du religieux, Librairie Arthème Fayard, 2003

(2) ترجمة وتقديم: عبد القادر ملوك. أستاذ التعليم العالي مساعد، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب.

(3) منهج يدرس انتقال الثقافة داخل المجتمع وبين المجتمعات المختلفة.

الاختلافات القائمة بين الجانب الديني ووظائفه والجانب الروحيّ وتجسداته. ومن هنا ينبع سؤال دوبريه عن الجدوى من الأديان؟ وما عسانا نفعل بها؟ وكيف نفكر فيها؟

أول ما يستوقف المترجم ملّوك في هذه الأسئلة أنها لا تسائِل الدين بل الأديان، وهي مسألة يقصدها دوبريه وينافح عنها لاقتناعه بأن الدّين على وجه الإجمال لا وجود له؛ ويجب ألا نستخدم اللّفظ الدال عليه إلا بصيغة الجمع. وليس مردّ ذلك في اعتقاده إلى تشتت الظاهرة الدّينية، ولا تجانس مكوّناتها، وصعوبة التعامل بنفس الكيفية مع ديانة سماويّة وديانة ملحدة وغيرهما من ضروب التدين الأخرى، فحسب، ولكن لأن مبرّر وجود الأديان جميعًا، هو أنّ تتميز بعضها عن بعض؛ لأن حياتها في تميزها واختلافها لا في توحّدها كما يعتقد الحالمون.

ومع ذلك، يحذر دوبريه من مغبة تقديم أجوبة عجلى على أسئلة من هذا القبيل؛ لأنها ببساطة من نوع الأسئلة الملغومة التي تحمل معها إرثًا تاريخيًا مديدًا يستوجبُ أخذَ الوقتِ الكافي والتزام الهدوء والتريّث في التعامل معه. كما يقتضي أن نفحص، دونما غشاوة ودون أحكام مسبقة جاهزة، الوظائف الحيوية والاجتماعية والنفسية التي نهضت بها، وما زالت، قلوبنا وأرواحنا عبر التاريخ. وهذا بالفعل، ما يقوم به دوبريه في كتابه، دون تعصب ولا تبشير، مستندًا في ذلك إلى مستندات ووثائق وبنية حجاجية قوية، أراد من خلالها أن يُلفت انتباه المؤمنين كما «غير المؤمنين» إلى أمر غريب، أو غير مألوف لديهم، بتعبير أخف، يتمثل في جعلهم يرون المقدسَ كطريق للوصول إلى الدنيوي (المدنَّس)، والمتخيَّل كبوابة للولوج إلى الواقعي، وتمكينهم بالتالي من أن يفهموا دون غموض أو تفخيم في الكلام ما الذي تعنيه بالتدقيق الأخُوة، والكراهية، والحرب، والهوية، والوحدة والسلام، وأن يدركوا كذلك أن الإنسان مجبول على الإيمان؛ لأنه يضمن له توازنا يُمَكِّنه من عبور الحياة بشقاء أقل، وأن هشاشته النفسية لا تخوله العيش دون قناعات أو معتقدات يُسند إليها رأسه، ويشد بها عضده

حتى لا ينهار في نقطة ما من رحلة العبور؛ فالإنسان إذا «لم يؤمن بالله منذ حداثة سنه، فإنه سيؤمن لا محالة بلينين، أو بهتلر، أو بالدلاي لاما، أو بلاكان، أو بالبروليتاريا، أو ببُرْجه، أو بالجمهورية، أو بصهيون، أو بماو تسي تونغ، أو بالأمة، أو بزيدان، أو بنايكي أو بديزني» ، بل أحيانا كثيرة يجبره الاقتراب من خط نهاية عمره القصير على إسقاط قناعاته السابقة، وتجديد إيمانه بالسماء، إما خوفًا من عقاب ممكن أو طمعًا في ثواب محتمل، أو عن تعلّق خالص بالله على طريقة العشق الصوفي.

يعتقد دوبريه أن تزايد اهتمام الباحثين بالديني وبوظائفه في العقود الأخيرة يرجع في المقام الأول إلى ارتفاع منسوب الحقد والكراهية اللذين عبَّرت عنهما، قولًا أو فعلًا، بعض الطوائف الدينية المتعصبة، إلى جانب تصاعد أعمال العنف والقتل التي اكتوى بنارها عدد لا يستهان به من ساكنة العالم، في إطار ما عُرف ب «انتقام الله» على أن هذه الأعمال التي تم تصنيفها في خانة «الأعمال الإرهابية » لا ينبغي في نظر دوبريه أن نربطها رأسًا بما بات يعرف بالنزعة (الإسلاموية)[1]، ونجعلَ منها كبش فداء، فقد خرجت، خلال القرن الماضي، حربان عالميتان من داخل القارة الأكثر إيمانا بالإنجيل بين القارات الخمس، ومع ذلك لا يحق لنا أن ندين المسيحية؛ لأن الإحصاءات تكشف أن الهند الإسلامية-الهندوسية تعرف معدلًا إجراميًا يضاهي في ارتفاعه ما نجده في الولايات المتحدة اليهودية-المسيحية. فهل نكون مخطئين حين نقحم السماء في شؤوننا الأرضية؟ لا يبدو الأمر كذلك؛ لأننا عندما نعود بالزمان إلى الوراء، ندرك أن الحرب في أثينا كما في روما كانت أيضًا ذات منزع ديني، مع أنه ما ثبت يوما عبر التاريخ أن إله الجيوش قد صنع أسلحة أو أطلق نيرانًا إلا ما كان مما تضمنته بعض كتب

(1) الإسلاموية (L’islamisme) مصطلح سياسي اجترحته المجموعات السياسية المناوئة للإسلاميين. ويفيد في معناه مجموعة الأفكار والأهداف السياسية النابعة من الشريعة الإسلامية التي تستخدمها ثلة من «المسلمين الأصوليين » الذين يؤمنون بأن الإسلام «ليس عبارة عن ديانة فقط، وإنما هو عبارة عن نظام سياسي واجتماعي وقانوني واقتصادي يصلح لبناء مؤسسات دولة ».

الأساطير. فأن يُلقي رجال الدين، في الديانات الرسالية الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، بمسؤولية جرائمهم على السماء، فذلك في اعتقاد دوبريه ليس له سوى مبرر واحد هو محاولتهم التملص من العقاب وتبرئة أنفسهم من أفعال ينسبونها إلى الله بغير وجه حق؛ لأنهم يعلمون علم اليقين أنه لو أمكن «إخراج الديانات من الصراعات الكبرى التي تلهب الأرض حاليًا، فإن جذوتها ستنطفئ لا محالة لغياب الوقود. ووقود هذه النيران المستعرة هو الله» لكن أليس الصواب أن يطردوا الخطيئة من صدورهم، بدل أن يعزوها إلى متعالٍ لا دخل له في ما يُنسب إليه إلا ما كان مِن اتخاذه مشجبًا تُعَلَّق عليه التهم من أجل التنصل من المسؤولية وإضفاء القداسة على حروب مدنّسَة؟

إذا كانت الديانات التوحيدية تمكنت من تغذية النار المقدسة هنا وهناك، فإنه لا يحق لنا أن نعتبر أن دينًا مخصوصًا هو من أضرمها، مثلما أن الإلحاد لم يكن يومًا مرادفًا للسلام. ولْنجرؤ على الاعتراف بأن «الوحشية » ذات صلة بطبيعة الإنسان ذاته بوصفه حيوانًا محرّفًا، مصابًا بهذا المرض العضال الذي يحمل اسمًا مبهجًا هو الثقافة

ينظر دوبريه إلى تداخل الإلهي بالدموي، باعتباره أمرًا ضاربًا في القِدم، وحتى لو كان اللاهوت المتعالي يمارس تهديدا بسياسته المطلقة، فلا شيء من ذلك يدفع المرء إلى إدانة المطلق (=الإله) وتجريمه؛ لأن البشر هم من يشنون حروب الآلهة. إذا كانت الديانات التوحيدية تمكنت من تغذية النار المقدسة هنا وهناك، فإنه لا يحق لنا أن نعتبر أن دينًا مخصوصًا هو من أضرمها، مثلما أن الإلحاد لم يكن يومًا مرادفًا للسلام. ولْنجرؤ على الاعتراف بأن «الوحشية » ذات صلة بطبيعة الإنسان ذاته بوصفه حيوانًا محرّفًا، مصابًا بهذا المرض العضال الذي يحمل اسمًا مبهجًا هو الثقافة.

فهل تعد الثقافة هي السبب في الوحشية التي أبداها الإنسان على مدار تاريخه؟

يطلعنا دوبريه على أن ذلك ما حاول فرويد أن يوضحه لعدد من العلماء الذين كانوا مشدودين إلى ضرب من اليوتوبيا يقضي بأن «الحرب موافِقة للطبيعة، وأنها تستند إلى ما هو بيولوجي في الإنسان، ولذلك بالكاد يمكن تجنبها عمليًا». وقد حاول فرويد أن يوضح لهم بأن مفهوم الطبيعة قد التبس عليهم، ولم يتمكنوا من إدراك ماهيته الحقيقية؛ لأن الطبيعة في مدلولها العام لا تمثل بالنسبة إلى الطبيعة البشرية، في نظره، إلا ما يمثله القتل بالنسبة إلى طقس القربان، أو ما يمثله القتل دفاعًا عن النفس بالنسبة إلى القتل الذي نعاينه في هيئات مختلفة للكائن البشري لدوافع متباينة. أبناء جنسنا لا يتقاتلون فيما بينهم ليأكل بعضهم بعضًا، مثلما هو حاصل لدى الحيوانات التي تحركها غريزة البقاء، ولذلك لا دخل للطبيعة والحياة في حروب البشر، ولا يبدو أن محرك الحرب بيولوجي، وإنما هو ثقافي صرف، وهو ما يُصَعِّبُ من أمر «تفاديها عمليًا».

يرى دوبريه أن العودة إلى قاموس المفردات القديمة من شأنها أن توقفنا على تمييز في غاية الأهمية، بين كلمة حضارة - «بما هي مفهوم يدل على مجموعة من الاستعدادات العامة الكونية القابلة للنقل» - وكلمة ثقافة - التي تعني أسلوبًا خاصًا في الحياة لا يقبل النقل إلى الجميع»، أو «هي مجموعة من السمات المميزة، أو السلوكيات أو القيم التي تَسِمُ شعبًا معينًا » - وبموجب هذا التمييز، فإن الديني يدخل في خانة «الثقافة»، وهذا من شأنه أن ينسف الحلم المُطَمْئِن بحضارة بلا ثقافات،أوبحضارةتحضنهاجميعًا

بناءً على ذلك، يرى دوبريه أن العودة إلى قاموس المفردات القديمة من شأنها أن توقفنا على تمييز في غاية الأهمية، بين كلمة حضارة - «بما هي مفهوم يدل على مجموعة من الاستعدادات العامة الكونية القابلة للنقل» - وكلمة ثقافة - التي تعني أسلوبًا خاصًا في الحياة لا يقبل النقل إلى الجميع»، أو «هي مجموعة من السمات

المميزة، أو السلوكيات أو القيم التي تَسِمُ شعبا معينا » - وبموجب هذا التمييز، فإن الديني يدخل في خانة «الثقافة»، وهذا من شأنه أن ينسف الحلم المُطَمْئِن بحضارة بلا ثقافات، أو بحضارة تحضنها جميعًا. ومثلما تتحطم سفينة الحب على صخرة الواقع اليومي، يتحطم هذا الحلم الجميل على صخرة الأديان. وكما تتوحد الشعوب في معادلاتها وأدواتها، فهي تتفرق في أذواقها وصلواتها؛ فتصير طرقها في الحساب وصنع الآلات - العلم والتقنية - قابلة للتبادل. أما الأصوات التي تخرج من أفواهها وأحلامها - اللغة والتدين- فلا يحدث أن تتوافق؛ لأن الثقافة، في معناها الإثنولوجي، لا توجد إلا حيث يرتسم حد معين، والحد عزلة كما لا يخفى، والعزلة تقديس للذات وإعلاء من شأنها، وربما انطوت على قدر قليل أو كثير من ازدراء الآخر، ولذلك كان مصير كل منعزل أن يكون مكروهًا ومعشوقًا في الآن ذاته، وتلك أيضا طبيعة المقدس الذي يتماهى مع الثقافة بما هي وجه يحمل خلفه قفا اسمها الوحشي. ففي النهاية لم يتسبب في شقاء الإنسان سوى الإنسان، وتلك نتيجة ثابتة ومحسومة مهما حاولنا تبريرها وتسويغها بالصورة التي تخدم مآربنا أو أحلامنا أو أوهامنا؛ فليست كائنات خارقة للطبيعة هي من أضفت صفة الألوهية على أبطال ميتين، وألّهت الوطن، وخلّدت الجنود الذين قضوا دفاعا عن القضية التي أُطلق عليها هنا وهناك اسم «الحرب المقدسة».)من أجل الوطن، من أجل ستالين...(، وليست حقوق الإنسان، التي تمثل المُطلق بالنسبة إلى النسبيين، بمنأى عن المساءلة مثلما أنها ليست خيرًا مطلقًا كما يتوهم البعض، فعلاوة على أنها لم تفلح أبدًا في الحيلولة دون قصف رياض الأطفال والعُزل والنساء والعجزة وغيرهم، فقد اتُّخذت مطية لانتهاك حقوق الإنسان، وباسم النزعة الإنسانية أُبيد الإنسان. ولهذا ما من ديانة خيّرة بالفطرة، أو سيئة بالمطلق؛ جميعها تمنح بعض الفوائد لأعضائها مع بعض الإجحاف الذي تبدو قيمته متساوية بينها تقريبًا، والكلام لدوبريه..

12. موقع «كلام الأخبار»

الاستثمار في بيتكوين ... حلال أم حرام؟[1]

يبدو أنّ الجدل المحتدم حول العملات الرقمية، وفي القلب منها بيتكوين، لن ينتهي قريبًا، ولم يعد كذلك قاصراً على الخلاف حول حاضرها ومستقبلها، بل امتدّ إلى نقاشٍ آخر حول مدى جواز الاستثمار في هذه العملات من الناحية الشرعية، وهل الاستثمار في بيتكوين وغيرها حلال أم حرام؟

ومع الإقبال الشديد على التعامل بالعملات الرقمية خلال الأشهر الأخيرة عقب القفزات التي شهدتها أسعارها تم طرح عشرات الأسئلة التي لم يجرِ حسمها بعد، منها مثلًا:

هل تلك العملات آمنة للاستثمار، أم تحمل درجة عالية من المخاطر، وهل هي حقًا عملات المستقبل التي تقضي على النقود الورقية كما تردد، أم مجرد فقاعة مالية ستنفجر قريبًا في وجه الجميع وتلحق خسائر فادحة بالمستثمرين بها؟

ومتى تعترف بها البنوك المركزية مع تجاوز القيمة السوقية لعملة بيتكوين فقط تريليون دولار وإقبال بنوك ومؤسسات كبرى على الاستثمار فيها وقبول الدفع بها، وما مخاطر العملات المشفرة على القطاع المصرفي والمالي والبنوك التجارية والشركات العالمية المصدرة لبطاقات الدفع الإلكتروني سواء الائتمان أو الخصم؟

نقاش آخر حول مدى جواز الاستثمار في العملات الرقمية من الناحية الشرعية، وهل الاستثمار في بيتكوين وغيرها حلال أم حرام؟ وإذا كان كبار رجال الأعمال مثل إيلون ماسك، رئيس شركة «تسلا» العالمية لصناعة السيارات الكهربائية يستثمر 1.5 مليار دولار في العملات الرقمية، فلماذا يحذر منها ملياردیرات آخرون من أباطرة وول

(1) **موقع العربي الجديد**، الاستثمار في بيتكوين ... حلال أم حرام؟، مصطفى عبد السلام، 2021/4/19.

ستريت وصناديق الاستثمار ورأس المال من المخاطر؟

وإذا كان الاستثمار في هذه العملات تكتنفه مخاطر عالية، وترفض البنوك المركزية السماح للبنوك بالاستثمار فيها، لمَ قرار بنك إنكلترا المركزي تشكيل لجنة لتطوير عملة رقمية جديدة كما أعلن وزير الخزانة البريطاني ريشي سوناك اليوم الاثنين؟ ولماذا اتخاد البنك المركزي الأميركي خطوة مماثلة؟ ولماذا وصف البنك المركزي الصيني بيتكوين اليوم، أنّها بديل استثماري، وهو ما يمثل تحولًا كبيرًا من جانب الصين بعد حملة صارمة على إصدار العملات الرقمية وتداولها منذ ما يقرب من أربع سنوات؟

أضف إلى هذه الأسئلة أسئلة أخرى تم طرحها داخل المنطقة العربية كانت لها خصوصية في ما يتعلق بالعملات الرقمية، فقد حظيت الأسئلة المتعلقة بموقف الأديان السماويّة من التعامل بهذه العملات الرقمية بجزء مهم من الاسئلة، وهو ما دفع مؤسسات مسؤولة عن الفتوى في عدد من الدول بإصدار فتاوى تحرم التعامل في هذه العملات لأسباب عدة.

منها مثلًا ما قاله عضو هيئة كبار العلماء في السعودية، عبد الله المنيع، قبل أربعة أيام من أنّ التعامل بالعملات الرقمية، مثل بيتكوين، يعتبر محرّمًا وفقاً لما يراه، قائلًا إنّ العملات الرقمية لا تملك معنى «الثمنيّة»، وتعتبر من أكل أموال الناس بالباطل، وهي أشبه ما يكون بـ»صالة قمار» وعبارة عن مقامرة، وإن كانت ليس كالقمار الواضح.

وسبقت هذه الفتوى فتوى أخرى صادرة عن أمانة الفتوى، بدار الإفتاء المصرية، خلصت إلى أنّ «تداول هذه العملات والتعامل من خلالها بالبيع والشراء والإجارة وغيرها حرام شرعًا؛ لآثارها السلبية على الاقتصاد، وإخلالها باتزان السوق ومفهوم العمل، وفقدان المتعامل فيها للحماية القانونية والرقابة المالية المطلوبة، ولما فيها من الافتيات على ولاة الأمور، وسلب بعض اختصاصاتهم في هذا المجال».

كما استندت دار الافتاء المصرية في فتواها إلى «ما تشتمل عليه العملات الرقمية

من الضرر الناشئ عن الغرر والجهالة والغشّ في مصرفها ومعيارها وقيمتها، وذلك يدخل في عموم قول النبي عليه السلام: «من غشّنا فليس منّا». فضلًا عما تؤدي إليه ممارستها من مخاطر عالية على الأفراد والدول، والقاعدة الشرعية تقرر أنّه «لا ضرر ولا ضرار».

فتوى أخرى صادرة عن أمانة الفتوى، بدار الإفتاء المصرية، خلصت إلى أنّ «تداول هذه العملات والتعامل من خلالها بالبيع والشراء والإجارة وغيرها حرام شرعًا؛ لآثارها السلبية على الاقتصاد، وإخلالها باتزان السوق ومفهوم العمل، وفقدان المتعامل فيها للحماية القانونية والرقابة المالية المطلوبة، ولما فيها من الافتيات على ولاة الأمور، وسلب بعض اختصاصاتهم في هذا المجال»

وأكد شوقي علام مفتي الديار المصرية على عدم جواز التعامل بعملة بيتكوين وشقيقاتها، نظرًا لكونها وحدات افتراضية غير مغطاة بأصول ملموسة، فضلًا عن كونها قد تفضي إلى ولادة مخاطر عالية قد تصيب الأفراد والدول.

كما صدرت فتاوى مماثلة في عدد من الدول العربية منها ليبيا والكويت وغيرهما، لكن يظل الوقت مبكرًا للحكم على العملات الرقمية من الناحية الشرعية، واجتهادات بعض العلماء ومؤسسات فتوى الحالية قد يتم إعادة النظر فيها مستقبلًا في حال اعتراف الحكومات والبنوك المركزية بهذه العملات والسماح بتداولها والاستثمار فيها.

بل إن بعض هذه الفتاوي قد تكون متسرعة بعض الشيء، حيث لم يدرس مصدروها ملف العملات الرقمية جيدًا خاصة من الناحية الاقتصادية والمالية والاستثمارية، وربما لا يعرف بعضهم طبيعة هذه العملات وكيفية تصنيعها واستخداماتها المختلفة وطرق الدفع بها.

وربما تكون هذه الفتاوى مدفوعة بضغوط جهات ما تتخوف من تأثير التوسع في تداول العملات المشفرة وضخ أموال ضخمة بها على سوق الصرف الأجنبي واحتياطيات

الدول من النقد الأجنبي، أو استخدام هذه العملات في عمليات غير مشروعة مثل شراء السلاح والمخدرات.

ولذا فإن الأمر بحاجة إلى هيئات شرعية موثوق بها تضم علماء ثقات مشهود لهم بالكفاءة العلميّة والدينية لإصدار فتوى بعد عقد لقاءات مع مستثمرين وممثلي مؤسسات على دراية بطبيعة عمل العملات الرقمية.

يذكر أن أحد مساجد لندن كان قد أعلن في العام 2018 قبوله التبرعات والزكاة العملات الرقمية المشفرة لتوسيع قاعدة المانحين من أجل زيادة الأموال المتوفرة له وبقبول العملات الرقمية، يأمل المسجد في أن يتمكن من جمع تبرعات من مسلمين من دول أخرى، إضافة إلى تسهيل الأمر على من يتعاملون بالفعل بالعملات الرقمية ليجدوا مصدرًا يقبل مثل تلك المدفوعات.

ووفقًا لموقع **Investopedia** كان هناك أكثر من **4000 عملة** رقمية متداولة في بداية عام 2021. وما يزال يتم إطلاق المزيد والمزيد طوال الوقت. تعتبر بتكوين أحد أهم العملات الرقمية، التي يصل عددها إلى الآلاف وتسمّى Altcoins ويستخدم مصطلح «altcoins» للإشارة إلى العملات الرقمية بخلاف «البيتكوين».

وتبلغ القيمة الإجمالية لجميع العملات الرقمية الموجودة حوالي 1.5 تريليون دولار – تمثل البيتكوين حاليًا لوحدها أكثر من 60% من القيمة الإجمالية لها، أي أن القيمة السوقية لباقي العملات الرقمية مجتمعة لا تتعدّى 40% من إجمالي قيمة سوق العملات الرقمية[1].

من العملات الرقمية الأخرى[2] غير البتكوين Bitcoin ورمزها BTC: Chainlink ورمزها LINK؛Dogecoin ورمزها DOGE؛ Cardano ورمزها (ADA)، Litecoin ورمزها LTC؛Stellar ورمزها XLM؛ Tether ورمزها (USDT)؛ Ripple ورمزها

(1) **موقع غو ريتش**، ماهي العملات الرقمية ؟ شرح العملات الرقمية من الألف إلى الياء، 2021/4/20.
(2) موقع غو ريتش، مصدر سابق.

XRP؛ Binance Coin ورمزها BNB؛ Tether ورمزها (USDT)؛ Ethereum ورمزها ETH. والعملات الرقمية هي نتاج الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، وتم ميلادها بنجاح عام 2009، وكانت «البتكوين»، هي العملة الأولى في عالم العملات الرقمية.

ويتم إصدار العملات الرقمية، بصورة غير مركزية، من خلال خوارزميات رياضية (لغة برمجة، دالّات رياضية) عن طريق برامج الكمبيوتر. وتطور العمل بهذه العملات على مدار العقد الماضي، حيث نظمت عمليات تداولها، وضبط الرقابة عليها، من خلال دفتر عام «البلوك تشين « (Blockchain)، يرصد عمليات التبادل ومعرفة كل حساب.

وتكون هذه البيانات متاحة لكل المتعاملين من خلال كلمة السر واسم المستخدم اللذين يتم الحصول عليهما للمتعامل على الشبكة، وتعد فئة المعدّنين هي عصب سوق العملات الرقمية، لأن أفرادها هم من يقومون بتكوين العملات، أو ما يمكن أن نطلق عليه مُصدري العملات الرقمية[1].

معظم العملات الرقمية عبارة عن شبكات لامركزية تعتمد على تقنية blockchain (سلسلة الكتل، أو سلسلة أقفال)، بما في ذلك عملة Bitcoin.. فكل عملة هي في الأساس ملف كمبيوتر يتم تخزينه في «محفظة» رقمية يمكن الوصول إليه عن طريق تطبيقات الهواتف الذكية أو الأجهزة التي تدعم الإنترنت. هذه الملفات قابلة للتحويل (كليًا أو جزئيًا) من شخص لآخر عبر تكنولوجيا البلوكتشين (blockchain)، وهي تقنية تشفير فريدة تسمح بإجراء معاملات آمنة وشفافة.

تقنية البلوكشين بتعبير مبسَّط هي تقنية تسمح لشخص (أو شركة) ما بنقل أصول ذات قيمة إلى شخص آخر بأمان ودون تدخل أي وسيط. والبلوكتشين هي مجرد سلسلة من كتل البيانات، ومن هنا تأتي التسمية «سلاسل الكتل». وتتم إدارتها من قِبل مجموعة من الحواسيب غير المملوكة لأي كيان واحد، كما أنّ شبكة البلوكتشين

(1) **موقع الجزيرة**، قبل أن تدخل غمار الاستثمار في العملات الرقمية.. كل ما تحتاج معرفته عنها، عبد الحافظ الصاوي، 2021/2/18.

مستقلة، ولا تخضع لأي سلطة مركزية، لأنها في الأساس سجل مُشترك وغير قابل للتغيير، والمعلومات الموجودة فيها مفتوحة ومُتاحة لأي شخص لكي يطّلع عليها. وبالتالي، فإن أي شيء مبني على البلوكشين هو بطبيعته شفّاف يمكن لمن يشاء الاطلاع عليها، كما أن المعاملات على البلوكشين مجانية وليست لها تكلفة مباشرة.

13. المدن

وداعًا للنيوليبرالية [1]

تكرر مصطلح النيوليبرالية على مسامعنا، كما يقول كاتب المقالة شادي لويس، أكثر من غيره، على مدى العقدين الماضيين. فهو تعويذة لطالما رددها الجميع، الماركسيون القدامى وجماعات الخضر والكينزيون ومابعد الحداثيين، ومن فرط التكرار فقدت الكلمة الفضفاضة أي معنى محدد. بدت النيوليبرالية دائمًا عنوان عصر جديد، أكثر منها إيديولوجية متماسكة حقًا. عنوان لعالم القطب الواحد، ذلك الذي بدأت إرهاصاته قبل عقد أو أكثر من سقوط الاتحاد السوفياتي.

لم يؤمن النيوليبراليون بعقيدة السوق مثل أسلافهم الليبراليين، كانوا أكثر واقعية منهم، فلا شيء طبيعيًا بخصوص قواعد العرض والطلب أو آليات المنافسة، بل على المؤسسات أن تصطنع شروط السوق وتفرضها. هكذا لم تعد الدولة شرًا لا بد من توسعه اللانهائي

يؤرخ الكثيرون للبداية، بحسب لويس، بانقلاب بينوشيه في تشيلي، مع ريغان وثاتشر كوجهين سينمائيين لتفكيك دولة الرفاه في العالم الغربيّ نفسه. كان أفول شبح الشيوعية يعني التراجع عن الكثير من المكتسبات الاجتماعية الممنوحة بعد الحرب العالمية الثانية، فثورة بلشفية أخرى لم تعد متخيلة بالأساس، دعك من أن تخيف أحدًا.

من أميركا اللاتينية إلى إندونيسيا، انطلقت سلسلة من الانقلابات العسكرية وحملات القمع الدموية، وتبعها سحق للنقابات والحركات العمالية في العالم الأول، بلغ ذروته في الثمانينات، وكان هذا كله يعني إطلاق العنان لرأس المال ودمج الهوامش مع المركز في منظومته المعولمة. لم يؤمن النيوليبراليون بعقيدة السوق مثل أسلافهم

(1) **موقع المدن**، وداعًا للنيوليبرالية، شلدي لويس، 2021/4/28.

الليبراليين، كانوا أكثر واقعية منهم، فلا شيء طبيعيًا بخصوص قواعد العرض والطلب أو آليات المنافسة، بل على المؤسسات أن تصطنع شروط السوق وتفرضها. هكذا لم تعد الدولة شرًا لا بد من توسعه اللانهائي. لم تختلق النيوليبرالية الحرب على الإرهاب بالطبع، لكن اقتصاديات الحرب الهائلة وميزانيات الصناعات الأمنية كانت تحتاج إلى عدو في عالم لم يعد يواجه تهديدًا أيديولوجيًا حقيقيًا. وتوافق أفول الخطر الأحمر مع صعود الخطر الأخضر، تهديد لا مركزي أباح عسكرة إمبراطورية في الخارج، وأمننة على مستوى شامل في الداخل.

يعتقد لويس أنّ النيوليبرالية وصلت إلى حدودها القصوى، اتساع هائل في الفوارق الطبقية وتآكل للطبقات الوسطى ومركزة للثروة بشكل غير مسبوق، نتيجته تململ واسع في المراكز الرأسمالية وموجات من المهاجرين واللاجئين من دول الجنوب. يقود هذا كله إلى صعود مفاجئ لأقصى اليمين. وأتت الصدمة «الشعبوية» مقترنة بضربة الوباء الكاسحة، عقود من تقليم المؤسسات الاجتماعية وميزانيات التقشف كانت تعني تراجع جهوزية الخدمات العامة في حالات الطوارئ. الخطر الأصفر كان في الحسبان منذ زمن طويل، لكن الفارق المذهل في التعامل مع الوباء بين الصين والدول الغربيّة، كان صدمة إضافية أكثر إرباكًا وقسوة من فجيعة الوباء نفسه، على المستويات المادية والمعنوية خسرت الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون بشكل فادح.

من واشنطن، يعلن الرئيس بايدن الأولويات الجديدة، بشكل أكثر وضوحًا وتركيزًا، مواجهة الصين معركة مصيرية، أولوية الخطر الأصفر تعني تراجعًا للمعارك الهامشية للحرب على الإرهاب. التهديدات الداخلية من اليمين المتطرف، ومخاطر فقدان الريادة لصالح الصينيين خارجيًا، تعني عودة لمرحلة ما قبل نهاية التاريخ. تتخذ الإدارة الأميركية الجديدة خطوات متتابعة نحو سياسات أكثر اجتماعية. رفع لشرائح الضرائب

على الدخول والأرباح، استثمار ضخم في البنية التحتية والبحث العلميّ. وبدلالات مباشرة، يستشهد بايدن بنسب الاستثمارات الحكومية المقابلة في الصين، ويعد بتجاوزها.

وفي تشيلي، حيث بدأ كل شيء، أسقطت أكبر موجة احتجاجات شهدتها البلاد، ميراث النيوليبرالية أخيرًا، وصوّت التشيليون لصالح دستور جديد، هو الأول منذ بينوشيه، تعتمد بنوده مبادئ اشتراكية ودورًا أكبر للدولة في تقديم الخدمات العامة والاجتماعية.

عودة البيرونيين الجدد في الأرجنتين، وفشل الانقلاب اليميني في بوليفيا ورجوع الحكومة الاشتراكية، والفوز شبه المحسوم لليسار في البيرو خلال الأيام المقبلة، والعودة المتوقعة أو المأمولة للولا دا سيلفا في البرازيل، مع الانتفاضة الفلاحية الواسعة وغير المسبوقة ضد سياسات حكومة مودي النيوليبرالية في الهند، وحتى تظاهرات السترات الصُّفر المجهَضة إلى حين في فرنسا.. كل هذا يشي، كما يخلص لويس، بانحسار النيوليبرالية في المراكز والهامش أيضًا، وأفول لوهج وُعودها التي لم تتحقق أبدًا. من المبكر الجزم بأي شيء الآن. فلعلنا بالفعل على وشك وداعها الأخير، أو أن انتصارها قد أصبح ساحقًا حتى أنها تستطيع النجاة بواسطة تعديلات طفيفة وتحت أسماء أخرى كثيرة مستعارة.

أخبار وإصدارات

1. الأخبار

كتاب اسرائيلي في الأسواق اللبنانية؟[1]

أثار منشور «مكتبة الشبكة العربية للأبحاث والنشر» التي تأسست في بيروت عام 2008، على فايسبوك، تساؤلات كثيرة حول الترويج للنسخة العربية من كتاب «العاقل تاريخ مختصر للنوع البشري» Sapiens: A Brief History of Humankind للمؤرخ الإسرائيلي يوفال نوح هراري. المكتبة التي تتبع -تمويهًا- لـ «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» (يديره عزمي بشارة)، كاسم يتحرك فيه ضمن البلدان المحظورة على المركز، أعاد الأذهان الى العام 2017، عندما صادر الأمن العام اللبناني، كتاب Homo Deus للكاتب عينه، مع سحب نسخه الإنكليزية من المكتبات، وبقاء نسخ من كتابه الأول «العاقل تاريخ مختصر للنوع البشري» باللغة الفرنسية في مكتبات بيروت. وبما أنه صادر في الأصل من الأراضي الفلسطينية المحتلة، كما كتاب «العاقل تاريخ مختصر للنوع البشري» الذي خرج الى النور عام 2011 من القدس المحتلة أيضًا، فمن الطبيعي أن يخضعا لأحكام القانون اللبناني الصادر عام 1955 والذي ينصّ على مقاطعة «اسرائيل» ويحظّر دخول المنتجات الإسرائيلية الى لبنان.

(1) موقع الأخبار، كتاب اسرائيلي في الأسواق اللبنانية؟ 2021/3/19.

والمعلوم، بحسب الأخبار، أنّ الكتابين يندرجان ضمن سلسلة واحدة، من مشروع المؤرخ الإسرائيلي، تضيء على تاريخ نشوء الإنسانية وتطورها، والسبل التي صيغت بها البيولوجيا والتاريخ النوع البشري. إذ يركز كتاب «العاقل تاريخ مختصر للنوع البشري» على ما يسميه الكاتب «بالثورة الذهنية»، ودور البشر وتطور قدراتهم بفعلها. ويذهب بنا الكتاب الثاني الى امكانية تحكم التكنولوجيا بالعقل البشري، وخضوع الإنسان لها وتفوقها عليه. وبعد التمحيص في النسخة العربية المعروضة في المكتبة، بدا أنها صادرة عن دار Manjul للنشر الهندية. ومعلوم أن الكتاب قد ترجم الى أكثر من 45 لغة منذ تاريخ صدوره عام 2011، وقد احتل قائمة «نيويورك تايمز» كأكثر الكتب مبيعًا في نسخته الإنكليزية.

2. السياسي[1]

كتاب «موت الغرب» لباتريك بوكانن
الموت الذي يلوح في أفق الغرب هو في الواقع موتان

يبشّر الكتاب بموت الغرب وانتهاءه، وينبّه المؤلف فيه إلى أن الموت الذي يلوح في أفق الغرب هو في الواقع موتان: موت أخلاقي بسبب السقوط الأخلاقي الذي ألغى كل القيم التربوية والأسرية والأخلاقية التقليدية. وموت ديموغرافي بيولوجي (النقص السكاني بالموت الطبيعي)، وهو الذي يظهر بوضوح في العائلة، وفي السجلات الحكومية التي تشير إلى إضمحلال القوى البشرية في الغرب وإصابة ما تبقى منها بشيخوخة لا شفاء منها إلا باستقدام المزيد من المهاجرين الشبان أو بالقيام بثورة حضارية مضادة تعيد القيم الدينية والأخلاقية إلى مكانتها التي كانت من قبل.

يقول الكاتب إن الموت المقبل مريعٌ ومخيف لأنه وباء ومرض من صنع أيدينا ومن صناعة أفكارنا وليس لسبب خارجي، مما يجعل هذا الموت أسوأ بكثير من الوباء الأسود الذي قتل ثلث سكان أوروبا في القرن الرابع عشر. فالوباء الجديد لا يقتل إلا الشباب، مما يحوّل الغرب عمومًا وأوروبا بشكل خاص إلى «قارة للعجائز»!! القصة ليست مجرد تخمينات أو توقعات أو احتمالات إنما هي حقيقة واقعة وسوف تصدمك لشدة وضوحها خاصة عندما تبدأ الأرقام بالحديث!! فوفقا للإحصاءات الحديثة، هبط (معدل الخصوبة) عند المرأة الأوروبية إلى (1 طفل) لكل إمراة علما أن الحاجة تدعو إلى معدل (2 طفل) كحد أدنى لتعويض وفيات السكان الموجودين الآن، هذا من دون الحديث عن زيادة عددهم.

(1) موقع السياسي، أخطر كتاب لمؤلّف أميركيّ: «موت الغرب...»، 2020/11/13.

بحسب الكتاب وما عرضه من أرقام مخيفة، يبرز السؤال المحيّر: لماذا توقفت أمم أوروبا وشعوبها عن إنجاب الأطفال وبدأت تتقبل فكرة اختفائها عن هذه الأرض بمثل هذه اللامبالاة؟ يجيب يقول المؤلف : إن الجواب يكمن في النتائج المميتة لهذه الثقافة الجديدة في الغرب والموت الأخلاقي الذي جرته هذه الثقافة على الغربيين هو الذي صنع موتهم البيولوجي. فانهيار القيمة الأساسية الأولى في المجتمع (وهي الأسرة) وانحسار الأعراف الأخلاقية الدينية التي كانت فيما مضى تشكل سدًا في وجه منع الحمل والإجهاض والعلاقات الجنسية خارج إطار المؤسسة الزوجية، إضافة إلى تبرير، لا بل تشجيع، العلاقات الشاذة بين أبناء الجنس الواحد، كل هذا دمر بشكل تدريجي الخلية المركزية للمجتمع وأساس استمراره ألا وهي الأسرة . وتبدو لغة الأرقام هنا أكثر هولًا. فقد ارتفع الرقم السنوي لعمليات الإجهاض في الولايات المتحدة من ستة آلاف حالة سنويًا عام 1966 إلى 600 ألف عام 1976 بعد أن سُمح بالإجهاض واعتبرت عملية قتل الأجنة حقًا للمرأة يحميه الدستور. وبعد عشر سنوات، وصل الرقم إلى مليون ونصف مليون حالة إجهاض في العام الواحد. أما نسبة الأطفال غير الشرعيين فتبلغ اليوم (أي عام 2001) نسبة 25 في المائة من العدد الإجمالي للأطفال الأمريكيين، ويعيش ثلث أطفال أمريكا في منازل دون أحد الأبوين (إما بدون الأب وهو الغالب وإما بدون الأم).

وهناك مؤشر آخر خطير! فقد بلغَ عدد حالاتِ الانتحار بين المراهقين الأمريكيين ثلاثة أضعاف ما كانت عليه عام 1960، أما عدد مدمني المخدرات (المدمنين وليس المتعاطين) بلغ أكثر من ستة ملايين شخص في الولايات المتحدة وحدها! وقد تناقص كثيرًا عدد الشبّان والشابات الراغبين في الزواج. ومن الطَّبيعي لمجتمع يسمح بالحرية الجنسية الكاملة ويتيح المساكنة بين الرجل والمرأة من دون أي رابط ديني أو قانوني في بيت واحد، وخوف الرجل من قانون الأحوال الشخصية الذي تحصل بموجبه

الزوجة على نصف ثروة الزوج في حالة الطلاق، واضطرار المرأة للقبول بالمساكنة بدون زواج بسبب حاجتها إلى رجل يقف معها ويحميها ناهيك عن الحاجة البيولوجية لها، أن يصل لهكذا نهاية. أما قضية الشذوذ الجنسي وقانون الزواج بين أبناء الجنس الواحد، فحدث ولا حرج، حيث بلغت حدًا لم يكن ممكنًا مجرد تخيله في السابق! وكانت هيلاري كلنتون أوَّل سيّدة أولى في البيت الأبيض تمشي في تظاهرة لـ (مثليين) لإبداء تعاطفها مع قضيتهم.